

وحي الأربعين

عباس محمود العقاد



وحي الأربعين

وحي الأربعين

تأليف

عباس محمود العقاد



هنداوي

رقم إيداع ٢٠١٣/٢١٠٢٥

تدمك: ٩٧٨ ٩٧٧ ٧١٩ ٥٢٩ ٤

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦/٨/٢٠١٢

إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره

وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه

٥٤ عمارات الفتاح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة

جمهورية مصر العربية

تليفون: ٢٠٢ ٢٢٧٠٦٣٥٢ + فاكس: ٢٠٢ ٣٥٣٦٥٨٥٣ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: إيهاب سالم.

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2013 Hindawi

Foundation for Education and Culture.

All other rights related to this work are in the public domain.

المحتويات

٧	مقدمة
١١	تأملات في الحياة
٢٥	خواطر في شئون الناس
٣٣	قصص وأماثل
٤٥	وصف وتصوير
٥١	غزل ومناجاة
٦٩	قوميات واجتماعيات
٧٥	فكاهة
٨١	متفرقات

مقدمة

الشعر العصري

تناول بعضهم ديواناً من الشعر، فقال: هذا شعر عصري! هذا ديوان خلا من باب المدح وباب الهجاء، فهو شعر جديد وليس بشعر قديم.

ذلك مثل من أمثلة التقليد في إنكار التقليد، فالشعر لا يكون عصرياً مبتكراً لأنه خلا من المدح ولا يكون قديماً محكياً لأنه يشمل عليه، وإنما يخرج «المدح» من الشعر لأنه كلام يضطر الناظم إليه اضطراراً ولا يعبر فيه عن عقيدة صادقة أو عاطفة صحيحة، ولولا الحاجة إلى نوال الممدوح لما نظمته ولا أجاله في خاطره، فمن هنا كان المدح كلاماً لا شعر فيه ولا دلالة على شعور، أما المادح الذي يقول ما يعتقد أو يحس أو يتمثل أو يتخيل فلا فرق بينه وبين شاعر الوصف والغزل والحماسة من حيث القدرة الشاعرة، ولا سيما إذا هو أثنى بما يوجب الثناء في رأيه وضميره.

ولنضرب لذلك مثلاً من التصوير بالريشة، وهو كالشعر، أحد الفنون الجميلة التي يقع فيها الابتكار والتقليد، فلا نعرف ناقدًا يزعم أن المصور الذي يرسم رجلاً من أجل ثمن مقدور لا يُعدُّ من المصورين «العصريين»؛ إذ كل ما يُطلَب منه هنا أن يجيد نقل الشَّبه والدلالة على الملامح والأطوار النفسية، فإن أجاد في عمله هذا فهو مصور كأحسن المصورين، وإن لم يُجد فليس بمصور وإن كان يرسم الأشخاص متبرعاً غير مأجور، أو كان يشغل نفسه بمناظر الطبيعة وما شابهها من الموضوعات التي تقابل الوصف والغزل في القصائد. وكذلك المدح في دلالته، على الشاعرية أو في انتظامه بين أبواب الشعر الصحيحة، فإنما يُعاب بيع الثناء من وجهة الخُلُق والعُرف لا من وجهة الفن والتعبير،

أما الذين «يقلدون» في إنكار القديم فقد اختلط عليهم الأمر؛ فحسبوا المدح منفياً من عالم الشعر لذاته لا لما قدمناه.

وقرأ بعضهم قصيدة في وصف الصحراء والإبل، فأنكر أن تكون من المذهب الجديد وعدّها باباً من الشعر لا يجوز أن يطرقه العصريون!

ذلك مثل آخر من أمثلة التقليد في إنكار التقليد؛ لأن وصف الصحراء والإبل إنما يُحسب تقليداً لا ابتكار فيه إذا نظمه الناظم مجازة للأقدمين واقتياساً على الدواوين، أما الرجل الذي يعيش في الصحراء أو على مقربة منها، ويركب الإبل وتجيّش نفسه بالشعر والتخيل عند ركوبها ورؤيتها فليس بشاعر إن لم ينظم في هذا المعنى مخافة الاتهام بالتقليد أو جرياً على رأي الآخرين.

إن هذا هو التقليد بعينه في التصور واختيار الموضوعات، وما المقلد إلا من ينسى شعوره ويأخذ برأي الآخرين على غير بصيرة أو بغير نظر إلى دليل.

فهناك إذن «مقلدون» في كراهة التقليد لا يدركون لماذا يستحسنون ولماذا يستهجنون، وربما كان هؤلاء أضرباً بالمذاهب الجديدة من معشر الجامدين على المذهب القديم.

إن من أراد أن يحصر الشعر في تعريف محدود لکمن يريد أن يحصر الحياة نفسها في تعريف محدود، فالشاعر لا ينبغي أن يتقيد إلا بمطلب واحد يطوي فيه جميع المطالب، وهو «التعبير الجميل عن الشعور الصادق»، وكل ما دخل في هذا الباب — باب التعبير الجميل عن الشعور الصادق — فهو شعر وإن كان مديحاً أو هجاءً أو وصفاً للإبل والأطلال، وكل ما خرج عن هذا الباب فليس بشعر وإن كان قصة أو وصف طبيعة أو مخترع حديث.

كذلك يبلغ من ضيق الوعي وركود النفس ببعض النقاد أن يحصروا كل باب من أبواب الشعر في نمط لا يعدوه ولا هم يتخيلون غيره، فيقولون مثلاً: إن الغزل لن يكون إلا هكذا وإلا فليس هو بغزل، وإن الوصف لا بد أن يجري هذا المجرى وإلا فليس هو بوصف، ويحسبون أن النفوس لا تحس إلا على وتيرة واحدة ولا تعبر إلا على أسلوب واحد، فإذا سمعوا غزلاً فينبغي عندهم أن يكون على مثال الأغاني التي يسمعونها العامة في المراقص والأندية، أو على مثال يشبهه وينحو نحوه! وقس على هذا مذهبهم في سائر الأبواب: من أحب البحري فليكن الوصف عنده بحرياً، ولا وصف على الإطلاق! ومن ألف حكمة المتنبي فلينظم الناس له أبياتاً على طرازها أو لا ينظموا على أي طراز! ومن عرف

أن «الاجتماعيات» مجال محمود في بعض الدواوين فحرام على الدواوين كلها أن تتسع لغير الاجتماعيات! ومن ظن أن الملاحم الكبيرة أثرت على كبار الشعراء، فالشاعر الذي لا ملحمة له ليس بشاعر كبير!

لقد سميت إحدى قصائد هذا الديوان «بالغزل الفلسفي» تحدياً لهذا الضيق السقيم والحجر العقيم، فقد أضحكني بعضهم حين سألني متباصراً: وهل الغزل الفلسفي مما يصلح لاستهواء الحبيب؟ فقلت له: ومن الذي زعم أننا لا نتغزل إلا لاستهواء الأحباء؟ إنك حين تناجي القمر لا تعني أن تستهويه أو تخاطبه بما هو أدنى إلى إدراكه، وإنك حين تحكي شعورك بالرياض والأزهار لا تفقه عنك الرياض والأزهار حرقاً مما تحكيه، ولكنك تناجي وتحكي وتتغزل لأنك تعبر عما في نفسك قبل كل شيء، فالغزل تعبير عما تشعر به حين ترى الوجه الجميل والخلق القويم، وإذا كانت بعض القرائح تستحضر جمال الحياة بأسرها وما تنطوي عليه من الأسرار حين تنظر إلى الوجوه الجميلة، فلماذا يحرم عليها أن تمثل هذا الشعور؟ وإذا كانت بعض الطبائع تقرر بين الجمال وما تستحقه الدنيا من التفاؤل والتشاؤم وما يغمرها من الخير أو الشر، فلماذا يُحال بينها وبين التعبير؟ لأن الجمال لا يقع في معظم النفوس إلا موقع الغناء في المراقص يحتم على الشعراء أن يغرقوا في المراقص طوال الحياة؟

إن ضيق نطاق الحياة هو الذي يلقي في روع الأغمار هذه الأوهام عن الشعر وأبوابه ومراميه، بل ضيق نطاق الحياة هو الذي يلقي في روعهم أن الشعر جانب والجد جانب آخر وأن هذين الجانبين لا يلتقيان، فبين يدي كلمة للمغامر الإنجليزي لورنس يقول فيها: «إن رجال العمل عندنا ينطوون على جانب من الشاعرية بقسطنطينية من صلاح وطلاح.» وبين يدي كلمة مثلها للحاكم الإيطالي «موسليني» يقول فيها للمؤرخ أميل لدفع: «إن الرجل السياسي ينبغي له أولاً وآخراً أن يكون صاحب خيال، فإن لم يكنه جف ولم يبلغ قط شيئاً يُكتب له الدوام، ولست أقول هذا عن رجل السياسة وحده لأنه ما من إنسان كائناً ما كان يصل إلى شيء يُذكر بغير الشاعرية والخيال.» وقد علمنا كيف أن «هريو» الوزير الفرنسي كان يشغل بوضع كتابه عن هوغو بين شواغله الجسام التي قلما يضطلع بمثلها وزير، وأمثال هؤلاء كثيرون حيثما يتسع أفق العمل والشعور والإدراك.

فالنظر إلى الدنيا لن يتسع ولن يصح ولن يكمل إلا بخيال كبير يستوعب ما يراه ويقيس ما غاب على ما حضر، وما يمكن على ما أمكن، وما يتمخض عنه المستقبل على ما درج في ألفاف الزمان، وتلك ملكة لا غنى عنها لعامل ولا عالم ولا شاعر ولا قارئ ولا

متعلم، وما دام أناس منا يجهلون مدى اتساع الحياة فلا عجب أن يجهلوا مدى اتساع الشعر، ولا بدع أن يهبط في مراتب الوجود إلى أفق دون أفق المشرفين على رحبه الشاسع الفسيح.

لقد رأينا دواوين لبعض الشعراء يستغرق ما فيها فضاء محدود يُقاس بعشرات الأشبار، فأين بقية آفاق الوجود؟ أين غرائب الإحساس التي تختلف إلى غير نهاية في كل طور من أطوار النفوس؟! إنك لن تستطيع أن تفرضها فرضاً إذا أنت قنعت من الدنيا بما تمثله لنا أشعار الناظمين المحدودين، فلنفهم شأن الخيال في توسيع الدنيا والسيطرة عليها نفهم شأن الشعر الصحيح، ولنفهم شأن الشعر الصحيح نحطم تلك السدود التي يحبسنا فيها أصحاب التعريفات من الجامدين أو المقلدين في كراهة التقليد، ولنذكر أبداً أن «التعبير الجميل عن الشعور الصادق» عالم لا ينحصر في قالب ولا يتقيد بمثال.

عباس محمود العقاد

تأملات في الحياة

الخلاصة الأولى والأخيرة

صَحَّ جَسْمًا فَشَاقَتْ الْأَرْضُ عَيْنِي	لَهُ جَمَالًا وَفَتَنَةً وَضِيَاءً
صَحَّ نَفْسًا فَشَاهَتِ النَّاسَ حَتَّى	كَرِهَ الْأَرْضَ حَوْلَهُ وَالسَّمَاءَ
عَجَبًا لِلْحَيَاةِ مَا سَرَّ فِيهَا	جَانِبَ تَرْضِيهِ إِلَّا أَسَاءَ

الهداية

كَمْ فِي السَّمَاءِ نَجُومٌ	ضَلْتُ سِوَاهُ السَّبِيلِ
وَأَنْتَ فِي الْأَرْضِ تَبْغِي	هَدًى بَغِيرَ دَلِيلِ؟

سِحْرُ الدُّنْيَا

سِحْرُ دُنْيَاكَ يَا أَخِي قَدِيمٌ	سَوْفَ يَبْقَى، وَيَذْهَبُ الْكَهَانُ
أَفِيْمُضِي بِسِحْرِهَا كَاهِنٌ مَا	تُ وَفِيهَا الشَّمْسُ وَالْأَعْنَاسُ؟
أَفِيْمُضِي بِسِحْرِهَا كَاهِنٌ مَا	تُ وَفِيهَا الثَّغُورُ وَالْأَجْفَانُ؟
أَفِيْمُضِي بِسِحْرِهَا كَاهِنٌ مَا	تُ وَفِيهَا الْأَلْحَانُ وَالْأَلْوَانُ؟
كَاهِنُ الْأَوَّلِينَ أَوَّلُ مَسْحُو	رٍ، وَفِي كُلِّ حَقْبَةٍ تَرْجَمَانُ
سِحْرُ دُنْيَاكَ دَائِمٌ حَيْثَمَا دَا	مَ عَلَيْهَا الْإِنْشَادُ وَالتَّبْيَانُ

سحر دنياك دائم حيثما دا مت عليها الحياة والإنسانُ

مسودات الحياة

تأمل ترى الأحياء عَجْمًا كأنها	«مسودة» للخلق لما تُنْقَحِ
ويا رب سر في كلام «مسود»	يعود فيخفى في الكلام المصحح
أراها كإخوان تفاوت حظهم	وميراثهم من سابقين ورزح
فمن حائز نُعمى أبيه وأمه	إلى خاسر رفديهما أو مطرح
ومن يلقيهم يلقَ الحياة كأنها	حبت طفلة من مهدها المترجح

جلال الموت

أرى في جلال الموت إن كان صادقًا	جلالة حق لا جلالة باطل
فلا تجعل الموت حجة كاذب	لمدحة مذموم ورفعة سافل

المعروف والمنكر

كل ما تصنع الحياة يُرَجَى	من بنيتها قبوله واغتفاره
فيذا أنكروا قبيحًا ففي القبر	ح من الموت لونه أو شعاره
ذاك لب اللباب في كل رأي	شطُّ بالفكر أو تدانى مزاره

رأي واحد في وضعين مختلفين

زعموا الإنسان قردًا	قد ترقى وتَحَلَّى
وأناس يزعمون الـ	قرد إنسانًا تدلَّى
هو رأي واحد نقـ	لبيه علوًا وسفلا!



فلسفة حياة

مسائل الفلسفة الكبرى هي:

- (١) مسألة الإله.
- (٢) مسألة الحياة بعد الموت.
- (٣) مسألة السعادة في الدنيا.
- (٤) مسألة الخير والشر والحلال والحرام.

والقصيدة التالية تنتهي بالقارئ في كل مسألة من هذه المسائل إلى رأي نوجزه هنا ولا نعرض لأسبابه وبراهينه؛ لأنها مما يضيق عنه المقام.

فأما في مسألة الإله، فخلاصة القول أن الإله الموجود في كل مكان كفيل أن يصل إليك إذا أنت لم تصل إليه، وأن يعرف حقيقتك إذا عجزت أنت عن عرفان حقيقته، وفي هذا عزاء لمن رام العزاء.

وأما في مسألة الحياة بعد الموت، فخلاصة القول أن خيال الإنسان لن يحيط وصف تلك الحياة، أو لن يصل في شأنها إلى وصف يستقر عليه، فهو لا يرضى أن تكون الحياة الأخرى كهذه الحياة الدنيا؛ لأنه يطمح أبداً إلى كمال بعد نقص وغبطة بعد ألم، وهو لا يرضى أن تكون الحياة الأخرى مبدلة مستحيلة؛ لأنه متى تغير شعوره وتبدلت مداركه ومقاييس نظره أصبح مخلوقاً آخر، وأصبح النعيم الذي يرحوه كأنما هو نعيم مكتوب لإنسان سواه ... فهو يحب أن يغير حياته ولا يحب أن يغيرها في وقت واحد! ... والخروج من هذه الحيرة لن يكون إلا على حالة فوق ما يعقل وفوق ما يتخيل.

وأما مسألة السعادة، فالرأي في القصيدة أن ترك الدنيا كما يتركها عباد الهند خطأ، وأن التهاك عليها كما يتهاك عباد الحضارة خطأ كذاك، وأياً كان الحرمان الذي يُمنى به الإنسان فيشقيه، ففي الدنيا ولا ريب نعم جزية لم يُحرَمها قط إنسان يحبها ويشتاقيها، وتلك هي محاسن الطبيعة والإعجاب بالجمال حيث كان.

وأما مسألة الخير والشر والحلال والحرام، فالرأي في القصيدة أنه لا حرام في الجمال ولا حلال في القبح، فالفعل القبيح هو الفعل الحرام، ومن تجنب أن يشوه جميلاً أو ينقص كاملاً فهو في حل من أن يصنع ما يشاء:

الغرام الملك، والملك الضياع	هات لي الحُسَنَ الذي ليس يضيع
ليلة قمراء، أو سحر سماع	أو قصيداً راق، أو زهر ربيع
قال قوم زينة الدنيا خداع	قلت: خَيْرُ! بالذي نَشْري نبيع

زاهد الهند نعى الدنيا وصام	أنا أنعاهها ولكن لا أصوم!
طامع الغرب رعى الدنيا وهام	أنا أراعها، ولكن لا أهيم
بين هذين لنا حدٌ قوام	وليلُ من كل حزب من يلوم

تأملات في الحياة

أيها السائل: ما بعد الممات؟
ما وراء القبر في قول الثقافت
يُمّ الصحراء وانظر قفرها
حالة تحمد يومًا سرّها
لست بالراضي حياة كالحياة
لا ولا ترضى حياةً غيرّها

* * *

يعبد الأقوام ما يخشونه
ليس ينسى الله من ينسونه
وأنا أعبد ما لست أخاف
فعلام البحث فيه والخلاف!
إن وصلتُم أو وقفتُم دونهُ
لم يقف دون مقامٍ أو مطافٍ

* * *

شرعك الحسن فما لا يحسن
ليس في الحق أثامٌ بيّن
فهو لا يحلو، وإن حلّ الحرام
غير مسخّ الحُسن أو نقص التمام
ما عدا هذين مما يمكن
فاستبحه، وعلى الدنيا السلام

الحظان

قسّم حياتك بين حُسن بارع
ما في سوى الحظّين من أمنيّة
يُذكي الحياة، وحكمة تُنميها
للمرء ينشدها ويستبقّيها

إنذار الغضب إلى الحق المحتجب

يا حقّ لا تبرحُ خباءك
فيم الإباء؟ ولم نكن
أتعبتنا سعيًا وراءك
فالزم مكانك في الثرى
يا حقّ إلا أصدقائك
ما الروضة الغناء ذا
إن شئت، أو فالزم سماءك
والناس لا يجفوننا
بلّة إذا حُرمت ضيائك
والحسن عند المبطلين
يومًا، إذا علموا جفائك
ما فاز من يرجو رجاء
ن، وعند من يهوى عداك
لك في الحياة ولا نساءك

أنا إن سلوتُكَ لم أكُ
يا حقُّ هذا حدُّنا
أشتاق ما يغني غناءكَ
فاختر ظهوركَ أو خفاءكَ
أو لا فلا تبرح خباءكَ!

رعونة الحياة

فيم اقتحامُ جنين واهنٍ عطلٍ
هي الرعونةُ في طبعِ الحياةِ ثوتٍ
أرضاً أبوه بها حيرانٌ مهمومٌ
وإنما حكمةُ الأقوامِ تعليمٌ

حكمة جهل الأطفال!

تجمّع في إهاب الطفـ
ليطرق بابها طوعاً
ل كلُّ غرارة الدنيا
لو أن لمثله رأياً
ولا عزمًا ولا وعياً
لأمر ما دخلناها

كلنا شجعان

ما شجاعٌ وجبانٌ؟
كل مولود تراه
نحن شجعان جميعاً!
أولم يطرق جنيناً
داهم الحصن المنيعاً
عسكر الكون الوسيعاً؟
جاءه فرداً ولم ير
جع كما جاء سريعاً

حكمة التوائم

حكيم ذلك التوائم ومن آبائه أحزم
تهيب أرضهم فرداً فجاء بصاحب ملزم!
ولو جاء بجيش كا ن في تدبيره أحكم!

حب الدنيا، معجزة خارقة

هل هذه الدنيا جميلة والأوامر الإلهية هي التي تنهانا أن نسعد بجمالها ونفرغ لمحبتها؟
أو هي دميمة والقدرة الإلهية هي التي تحببها إلينا وترغبنا فيها؟
الجواب في القصيدة التالية أنه لا قدرة — دون قدرة المعجزات والخوارق —
تستطيع أن تحبب هذه الدنيا إلى الناس، على ما بها من الآفات والأرجاس!

قالوا الدنيا الحسناء سها عنها رب لا يقبلها
بل قالوا: يحجبها عنا، أو ينهاها، أو يعقلها
ونرى الشيطان يزيناها ونرى الشيطان يدلها
يا قوم ألا عين نظرت هذي الشواء تمثها؟
ما يقدر إلا رب الكو ن يحببها ويجمها
لولا قتلنا أنفسنا أو لم نعذل من يقتلها
أفهذي دنيا نعشقها لولا رضوان يكفلها؟
من شك فهذي قدرته فليعرفها من يجهلها!

الحياة والتفكير

ما لي أفكر في الحياة ولا أرى شيئاً يقرُّ بها على التفكير؟!
إنني مضيت بها انقطعت كأني شجر على الدنيا بغير جذور

خذ من الحياة

الموت طَرَّاقٌ عَلَى الْـ أَبْوَابٍ، عَافٍ^١ كَالْعَفَاةِ
الموت أَخَّازَ فَخْذُ مَا تَسْتَطِيعُ مِنَ الْحَيَاةِ

أم شحيحة

لِكُلِّ شَيْءٍ ثَمَنٌ قَدْ زَعَمُوا مِنَ الْأَلَمِ
يَا شَحَّ دُنْيَا لَمْ تَجِدْ إِلَّا تَوَلَّاهَا النَّدَمُ
لَا تُرْضِعِ الْأَبْنَاءَ إِلَّا بَدْوَاةٍ وَقَلَمُ
وَبِالرَّبِّ مُضَاعَفًا غُولِطٍ فِي كُلِّ رَقَمٍ!

على بحر الحياة

أَمِنْ نَظَرَةِ الْآبَادِ وَالْمَثَلِ الْأَعْلَى إِلَى الْيَوْمِ بَعْدَ الْيَوْمِ وَالنَّظَرَةِ الْعُجْلَى؟
لَقَدْ كَانَتْ الْأَجْيَالُ عِنْدِي قَرِيبَةً فَقَدْ عَادَتْ السَّاعَاتُ تُوسِعُنِي ثَقَلًا
نَظَرْتُ إِلَى عَلِيَا الْحَيَاةِ أَرْوَدَهَا فَأَلْفَيْتُهَا صَفْرًا، وَلَمْ أَحْمِدِ السُّفْلَى
فَأَلَيْتُ أَقْضِيهَا كَمَنْ رَاحَ طَافِيًا عَلَى الْيَمِّ، لَمْ يَضْرِبْ يَدًا فِيهِ أَوْ رَجَلًا
فَإِنْ شِئْتَ قُلْ هَذَا غَرِيقٌ وَإِنْ تَشَأْ فَقُلْ سَابِغٌ لَمْ يُدِرْ أَقْبَلَ أَمْ وَلَّى

نقمة في نعمة

نِعْمَةٌ الْإِحْسَاسُ مَا بَرَحَتْ نِعْمَةٌ فِي طَيِّهَا نِقَمُ
لَا يُحِسُّ الْفَقْدَ فَاقْدُهَا وَنَصِيبِ الْوَاحِدِ الْأَلَمُ

^١ العافي طالب الفضل أو الرزق.

بنية قوية

تعاقَبَ السُّوسَ والجرادَ وما
فلا تحَفُ آفَةٌ ولا غِیرًا
دُنْیاکَ هذی قویَّةٌ صمَدَتْ
بادَ رَبیعٍ ولا انطوى شَجَرٌ
یُمْنی بها فی الضمائرِ البَشَرُ
لکلِّ شرٍّ جرى به القَدَرُ

ما فوق الحياة

یا طالبًا فوقَ الحیاةِ مدًى له
ما فی خیالک صورة تشتاقتها
ولو استویتَ علی الخلودِ وجدتها
یعلو علیها هل بلغتَ مداها؟
إلا وَحَوْلَکَ لو نظرتَ تراها
کفؤًا لعینک لا تروم سواها

سر أبي الهول

أَکْرهُنَا علی هَوَاکَ وقالوا
إِنْ یَکُنْ فِیکَ یا أبا الهَوْلِ بَسْرٌ
مَنْ دَعَانَا إلی هَوَاکَ؟ أَجِبْنِی
أَنْتَ یا عَالِمَ الشَّقَاءِ حَبِیبُ
فَهُوَ هَذَا الهَوَى الخَفِیُّ العَجِیبُ
نَحْنُ أَمْ أَنْتَ أَمْ سَمِیعُ مُجِیبُ؟

زَمِيلان في البيت، عِدْوَان في الطريق

لا حَیْنَ کانوا مُؤْمِنِینَ تَقِیدُوا
الطَّبَعِ والإیمانَ إِنْ سَکْنَا مَعًا
بُهْدَى، ولا حَیْنَ اسْتَرابُوا فی الْهُدَى
رَکبَا الطَّرِیقَ هَنِیْهَةً فَتَفَرَّدَا

على الشاطئ

وَرَدُّوا الْبَحْرَ فَأَهْلًا بِهِمْ - يَا بَحْرُ - أَهْلًا
أَنْتَ لَا تَحْفَلُ مِنْهُمْ مَنْ وَلَّى أَوْ مَنْ تَوَلَّى

* * *

نَزَلُوا شَطْرَكَ غَيْدًا وَشَبَابًا وَمَشِيبًا
طَلَبُوا فِي الْمَاءِ بَرْدًا فَذَكَاءَ الْمَاءِ لَهَيْبًا

* * *

وَرَدُّوا الْبَحْرَ عِطَاشًا رَشَفُوهُ غَرْفُوهُ!
لَوْ يَكُونُ الْبَحْرُ بَحْرًا مِنْ سُرُورٍ نَزْفُوهُ
الْمَسَاكِينُ يَرِيدُو نَ مَنْ الدُّنْيَا اتَّسَاعًا
اخْدَعُوهَا، فَهِيَ لَا تَو سَعُكُمْ إِلَّا خِدَاعًا

* * *

وَإِذَا لَاحَتْ بِوَجْهِهِ يَمْلَأُ الْأَبْصَارَ رُعبًا
فَاضْحَكُوا مِنْهَا وَقُولُوا مَا أُحْيَلَى! مَا أَحْبَا!

* * *

وَإِذَا مَدَّتْ إِلَيْكُمْ بِيَدٍ فِيهَا الْجِمَامُ
فَخُذُوا الْمَوْتَ وَقُولُوا هُوَ خُلْدٌ وَسَلَامُ!

نصف رغيغ

عَجَبِي لِلْحَيَاةِ أَشْرَفُ مَا تَحُ وَيِهِ وَقَفْتُ عَلَى الْحَقِيرِ الطَّافِيغِ
صَفَحَاتُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ طُرًّا وَالْمَعَانِي مِنْ تَالِدٍ وَطَرِيفِ
وَالْوَجْوهُ الَّتِي تَشْوَقُكَ حُسْنًا تَنْطَوِي إِنْ فَقَدْتَ نَصْفَ رَغِيغِ

لا ضيف في الخان

إيه يا دنيا! لو اسطعّت سماعي
أكرمينا حيثما تدعيننا!
قالت الدنيا: وَلَمْ أَكْرِمْكُمْ؟!
حبّذا الخان! فلا ضيف هنا
قد نزلنا منك في غير اتّساع
أَوْ دَعِينَا من لقاءٍ ووداع
كلنا في الحق مدعوّ وداع
إنما تُجْزَى متاعاً بمتاعٍ

في جانب الهرم

دعا به هاتِفٌ من جانبِ الهرمِ
تملّ ما شئتَ من سُخْفٍ ومن عِظَمٍ!
ما خَلَدَ الدَّهْرُ شيئاً قط نعلمُهُ
بين الظُّلَمَيْنِ من ليلٍ ومن قِدَمٍ
هنا التَّقَى السُّخْفُ في التاريخِ بِالْعِظَمِ
إِلَّا وفيهِ من الأنوارِ والظُّلَمِ

طفل على البحر

عَدَا على البحرِ جذلاً فقلتُ له:
فقال في لثغةِ الطفلِ البريء وفي
يا حبّذا البحرُ في عُمُقٍ وفي سعةٍ
كذلك الناس في بحرِ الحياةِ لهم
لا تُلْقَ بالاً إلى ما ينطقون به
هل قصر البحرُ أو أربى على الأملِ
صراحةِ الطُّفْلِ قولاً بيّن الخُطْلِ
لو كان من سُكَّرٍ أو كان من عَسَلٍ!
سُخْفٌ من القولِ في صدقٍ من العملِ
وانظر إلى ما تولاهم من الجدَلِ^٢

^٢ إن جذل الطفل على شاطئ البحر لم يمنعه أن يتمنى فيه الأمانى لتغييره، فانظر إلى جذله ولا تنظر إلى أمانيه، وكذلك الناس على بحر الحياة حين يستمتعون بجذله ويكثرون من التمني لما ليس يكون والأسف على ما كان.

ذات وجوه

وَجُوهَ حَيَاتِنَا مُتَعَدِّدَاتٌ وَدَعُ عَنْكَ الْبَرَاقِعَ وَالطَّلَاءَ
فَإِنْ تَحَمَّدَ وَسَامَتْهَا صَبَاحًا فَقَدْ تَنَعَى دِمَامَتَهَا مَسَاءً

قبرة شلي

للشاعر الإنجليزي «شلي» قصيدة ساحرة يناجي بها القبرة الشادية، وللشاعر الإنجليزي «توماس هاردي» قصيدة حزينة يود فيها أن يستنقذ من ركام الأرض أشلاء تلك القبرة الهزيلة التي هاجت خيال «شلي» الفياض.

وقد نظمتُ الأبيات التالية عقب تلاوة هذه القصيدة الأخيرة:

فِيمَ افْتِقَادِكَ جِسْمَ قُبْرَةٍ ثَوَى فِي الْأَرْضِ بَيْنَ رَمَائِمٍ وَحَفَائِرٍ؟
الآنَّ صَوْتَ الشَّعْرِ خَلَّدَ صَوْتَهَا تَبْغِي الْخُلُودَ لَجْسِمِهَا الْمَتَطَايِرِ؟!
خُذْ مَا بَدَا لَكَ مِنْ تَرَى الدُّنْيَا تُصَبُّ فِيهِ رُفَاتًا هَاجَ مُهْجَةَ شَاعِرٍ

ضلال الخلود

كَانَ فِي الْأَرْضِ قَبْلَ عَشْرِينَ أَلْفًا مَنْ سَنِي الْأَرْضِ، شَاعِرٌ عَبْقَرِيٌّ
كَانَ، لَا شَكَّ فِيهِ عِنْدِي وَلَا مِثْ نَنْ، وَإِنْ شَكَ جَا حَادٍ وَغَبِيٍّ
نَظَمَ الشُّعْرَ فِي الْحَسَانِ وَحَيٍّ قَبْلَةَ الشَّمْسِ وَهُوَ دَاعٍ شَجِيٍّ
لَيْتَ لِي مِنْ قَصِيدَةٍ بَيْتَ شَعْرِ فِي ثَنَائِهَا الْبِلَادَ يَرْوِيهِ حَيٍّ
لَيْتَ لِي مِنْ قَصِيدَةٍ فَرَدَ بَيْتَ صَحْ أُمِّ لَمْ يَصْحَ مِنَ الرُّوِيِّ
أَشْتَرِي بَيْتَهُ بِدِيَوَانِ شَعْبِيٍّ مَنْ فَأَيْنَ الْمَسَاوِمُ الصَّيْرِفِيِّ
ضَلَّةً لِلْخُلُودِ نَأْسَى عَلَيْهِ، أَخْلَدَ الْخَالِدِينَ فِيهَا دَعِي!

النور

إذا كان النور مما يُحَسَّ بالعين فليس يلزم من ذلك أن العين هي الوسيلة الفريدة بيننا وبين النور؛ إذ نحن نحسه بأرواحنا وبكل ملكة روحانية فينا، فنشعر أنه والحياة من معدن واحد في عنصرها المحسوس وعنصرها المجرد على السواء ... وإلى أين ينتهي بنا تحليل النور على أيدي علماء الطبيعة فضلاً عن الفلاسفة والمتصوفة؟ ينتهي بنا إلى أنه «معنى» يشبه المعاني المجردة في الكنه والقياس، ولو أمكن تحليل الفكر على هذا النمط لالتقى بعنصر النور التقاء القريب بالقريب، وهذا شعور شعرنا به من قديم في الدواوين الأولى قبل أن يصل العلماء إلى تحليل النور على النمط الحديث، وقد عدنا إليه في هذه الأبيات:

النُّورُ سِرُّ النِّجَاةِ	النُّورُ سِرُّ الْحَيَاةِ
النور وحي الصلاة	النور وَحْيُ النُّهْيِ
النور شوقُ الفتاة	النور شوقُ الْفَتَى
لمَحَ الْعُيُونِ الْخَوَاةُ	المَحَةُ بِالرُّوحِ لَا
معناه إلا أداة	ما تبصر العين من
لا ما افتراه الهُدَاةُ	هذا سبيل الهُدَى

الشمس

أرى الشمسَ روحانيةً في جمالِها
إذا فاض منها النورُ هَزَّتْ قُلُوبُنَا
ولو أنها من لذة الحس عفتها
كرهتُ من الدهرِ الكثيرَ ولم يزل
تُرى كلَّ يومٍ وهي عندي كأنَّها
عجبتُ لأَرْضٍ تخطر الشمسُ فوقها
وإلا فما بالُ النفوسِ بها تسمُو؟!
سعادةً رُوحٍ ليس يعرفها الجِسْمُ
كما قد يعاف اللحم والسمع والشمُّ
بقلبي من شمسِ النَّهَارِ هَوَى جَمُّ
غريب عرا، لم يُدرَ وَصْفٌ له واسمُ
وتُشرقُ فيها، كيف يطرقُها الغمُّ!

إلى غاندي حين أعلن الصيام

أتيت إلى الدنيا العريضة عارياً
تركت لهم حتى الطعام فقل لنا
إذا البؤس والحرمان كانا شفاعَةً
إذا كان ما ندعوه بؤسى غنيمةً
وتقضي بها جوعاً، وما عزَّ مأكلاً!
على أي شيء بعد موتك تقبل؟!
لعالمك الأعلى، فما هو أفضلُ
لمن يطلب النُعمى فبئس المعولُ

الوجه الفيلسوف

أرى لك أنتَ فلسفةً صُراحاً
أدُم العيشَ في ألفي كتابٍ
إذا ما الفيلسوف أطالَ سخطي
غُنيتَ عن الأدلة والأحاجي
بلمح العين أقرأها جميعاً
وتعرض لي فأمدحه سريعاً
على لؤم الحياة فكن شفيحاً
ومن حاجاك^٣ لم يكُ مستطيعاً

^٣ حاجاه: غالبه في الحجى أي العقل، أو ألقى عليه الأحاجي والألغاز.

خواطر في شئون الناس

القدر يشكو

صغيرٌ يطلب الكبرا	وشيوخٌ ودَّ لو صغرا
وخالٍ يشتهي عملاً	وذو عملٍ به ضجراً
وربُّ المالِ في تعبٍ،	وفي تعبٍ من افتقرا
ويشقى المرءُ منهزماً	ولا يرتاح منتصراً
ولا يرضى بلا عقب	فإن يعقب، فلا وزراً ^١
ويبغي المجد في لهف	فإن يظفر به فترا
ويحمد إن سلا، فإذا	توله قلبه زفرا
فهل حاروا مع الأقدار	ر أو هم حيروا القدر!
شكاة ما لهم حكم	سوى الخصمين، إن حضرا

الحمد المعكوس

يا رَبِّ حَمْدٌ لم ينله الذي	قد ناله إلا لهجوي أنا
وَرَبِّ هجٍ طافَ بي لم يَكُنْ	يطوفُ بي لو لم أَكُنْ مُحسِناً

^١ الوزر: الملجأ والمعتصم.

عدل الموازين

إنا نريد إذا ما الظلمُ حاق بنا
عدلُ الموازين ظُلمٌ حين تنصبُها
ما فرقتُ كفةَ الميزانِ أو عدلتُ
عدلَ الأناسي لا عدلَ الموازين
على المساواة بين الحرِّ والدُّونِ
بين الحليِّ وأحجارِ الطواحين

الخبز والفقر

أحسب الخُبْزَ لو دَرَى لتأبَى
إنما تُسَلِّسُ الطُّلابُ جميعًا
في يدِ الجائعِ الفقيرِ إليه
لامرئٍ هانتِ الطُّلابُ عليه

عادة مريحون

نَعِمَ العُداةُ تكفَّلوا بمدائحي
وتكفَّلوا بالتَّأَرِ منهم كُلِّما
حملوا المتاعِبَ واسترحتْ فلم يزل
لما استحقُّوا الذمَّ والتعذيرا
ملأوا صدورَهُمْ لظى وسعيرا
سعي العداة موفِّقًا مشكورا

عم صباحًا، عم مساء

عَمَ صباحًا عَمَ مساء
أَقْبَلَ الصبحِ وولَّى
وأخذنا ورددنا
ولقينا أصدقاء
فشقينا بولاء
وعشقنا وتركنا
من عشقناه ومن لم
وعرفنا الحق أحيا
ذهبَ العُمْرُ هباءً!
ومضى اللَّيْلُ وجاءَ
فحكى الأخذُ العطاء
وفقدنا أصدقاء
وتملينا عداً!
حبٌّ من سَرٍّ وساءَ
نره قط سواءَ
نأ فلم نعرف هناءَ

وجهلنا الحق أحيا	نأ فلم نجهل شقاء
وقتلنا الجسم والرُّو	ح سقامًا وشفاء
ثم نمضي حيثما نمـ	ضي سراعًا أو بطاء
لم نزد في الأرض مملو	ءًا ولم ننقص فضاء
عَمَّ صباحًا يا زمانِي!	يا زمانِي عَمَّ مساء!

شطور

دليل على أن الكمال محرَّم	إنَّ خُلِقْنَ بينها وذُكُورُ
فما المرء في جسمٍ وروحٍ بكامل	ولكنَّ كُلَّ العالمين شُطُورُ

سوء الظن

من ساء بالناس ظنًّا دون ما ألم	أحق عندي بسوء الظن والتُّهم
أسى ظنونك لكن مكرهاً أبداً	كمن يظن ببعض الآل والحرَم

البرهان المحسوس

تعب الفلاسفة الكرام ليهدموا	حُجَجَ الشُّرور ويدعموا البرهانا
وأرى الدمامة في وُجُوه جُناتها	عصفت بفلسفة الشُّرور عيانا

الآمال

كانت الآمالُ تحملني	فأراني اليومَ أحملُها
إن أحلامًا تعلَّلني	غير أحلامٍ أعلَّلُها

سِرُّ في طريقك

سِرُّ في طريقك بينَ اللائمين ولا
فالنَّاسَ يَرْضَوْنَ عَمَّنْ ليس يحفلُهُم
تحفلُ بمن جدَّ في لومٍ ومن لَعبا
ويغضبون على من يحفلُ الغصبا

اعرف ما ترميه، تعرف ما تجنيه

تعلم كيف تستغني
فمن يجهل ما يلقى
إذا ما شئتَ أن تغنى
فقد يجهل ما يُجنَى

إنصاف الظالم

أنصفت مظلوماً فأنصف ظالماً
من يرضَ عدواناً عليه يضره
في ذلَّة المظلوم عذر الظالم
شرُّ من العادي عليه الغانم

عزاء

لا اليأسُ أوَّلَ يأسٍ
فإن تقضى رجاءً
أو حلَّ يأسٌ فأهلاً
شُقَّ الطريق قديماً
ولا الرجاءُ بسرمدٍ
فإنه يتجددُ
إنَّ الطريقَ مُمهَّدُ
فالعودُ أهدي وأحمدُ!

الخلاصة

ليست خلاصة كلِّ شيء غنيَّة
فالشَّهْدُ وهو خلاصة الأزهار لا
عنه، وإن كانت خلاصة ماهرٍ
يُغني العيونَ عن الربيعِ الزَّاهِرِ

تكاليف العظمة

كُنْ عَظِيمًا وَلَا تَلُومَنَّ إِلَّا
كُل رَاجٍ يَلْقَى عَلَيْكَ مُنَاهُ،
تُنْصِفُ الْأُمَّةَ الضَّعِيفَ وَلَا تُنْصِفُ
هَمَّةَ كَلْفَتِكَ هَمًّا جَسِيمًا
فَإِذَا خَابَ كُنْتَ أَنْتَ الْمَلُومَا
صِفُ يَوْمًا عَظِيمَهَا الْمَظْلُومَا

رب عبوسة خير من بشاشة

إِذَا مَا تَبَيَّنَتِ الْعَبُوسَةُ فِي أَمْرٍ
أَجَلَ سَلُهُ قَبْلَ اللُّومِ فِيمَ انْقِبَاضِهِ
لَعَلَّ طَلَابَ الْخَيْرِ سَرُّ انْقِبَاضِهِ
فَمَا تَحْمَدُ الْعَيْنَانِ كُلَّ بَشَاشَةٍ
قَطُوبٌ كَرِيمٌ خَابَ فِي النَّاسِ سَعِيهِ
فَلَا تَلَحَّهُ، وَاسْأَلْ سُؤَالَ حَكِيمٍ
وَفِيمَ رَمَى الدُّنْيَا بِطَرْفِ كَظِيمٍ
وَعَلَّةَ حُزْنٍ فِي الْفَوَادِ مَقِيمٍ
وَلَا كُلَّ وَجْهِ عَابِسٍ بِذَمِيمٍ
أَحَبُّ مِنَ الْبُشْرَى بِفُوزٍ لَثِيمٍ

وصايا معكوسة

من عمل بها فلعيه وزرها.

ومن لم يعمل بها فأجره على الله!

إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِرَسُولِهِ: «اذْهَبْ إِلَى السُّوقِ فَهَاتِ عَنِّي حَامِضًا!» فَلَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ يَطْلُبُ الْعَنْبَ الْحَامِضَ وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ أَنَّهُ يَأْبَاهُ وَيَنْبِيهِ إِلَى اجْتِنَابِهِ، وَكَذَلِكَ هَذِهِ الْوَصَايَا إِنَّمَا هِيَ وَصَايَا أَسْفَافٍ وَتَحْذِيرٌ وَلَيْسَتْ بِوَصَايَا رِضَا وَتَرْغِيبٍ، وَالْقَصْدُ مِنْهَا أَنْ تَصِفَ مَا يَقَعُ أَحْيَانًا بَيْنَ النَّاسِ، وَتَنْكَرَ أَنْ يَشِيعَ:

الضعة والشرف

وَالِ الْمَدَنِيِّ بِالْعِيُوبِ وَلَا تَكُنْ
فَذُوقِ الْمَعَائِبَ لَا تَنَاحِرْ بَيْنَهُمْ
وَالِ النُّبَلِيِّ لِلنَّبِيلِ الطَّاهِرِ
وَالنَّبِيلِ فِيهِ سَبِيلُ كُلِّ تَنَاحِرِ
وَالنَّبِيلُ لَيْسَ بِأَمْنٍ لِلْغَادِرِ

والنبل محصور قليل الناصر	وذوو المعائب ما لهم من حاصر
والنبل ما لهناته من ساتر	وذوو المعائب يسترون خلالهم
والنبل ما لكماله من عاذر	وذوو المعائب عذرهم في نقصهم
والنبل ما لشقائه من آخر	وذوو المعائب ينعمون بحظهم
يسعى إليك مع الخئون الخافر	ولرب ربح فات من ذي ذمة
أو لا فدعه إن استطعت وخاطر	رأي السلامة إن أردت فخذ به

مصائب النخوة

سوف تُمنَى بئأسهم منك بُعد	لا تكن موئلاً لآمال قوم
أمنهم من أذاك غنماً يُعدُّ	وأخف ما استطعت منهم يخالوا
يستوي في قذاه حر وعبد	أن في طينة ابن آدم لؤماً

بمن تثق؟!

في كل حين حاضره	ثق بالرديلة تلقها
تلقاك إلا عابره	إن الفضيلة قلما
لهوى الهنات البادرة	حتى الأفاضل عرضة
عطف النفوس الطاهرة	ما كل يوم يرتجى
عند التعطف قادرة	ومن النوادر أن تُرى
دارت عليه الدائرة	من لم يدر في دهره

من تكون؟ ومن لا تكون؟

فكن كتيemor ونيرونا ...!	كن بينهم «بوذا» فإن لم تطق
إصلاحهم دنيا ولا ديناً	أو عش معافى بينهم لا ترى
لا غرو أن سموه مجنوناً!	قد ضل من يطلب إصلاحهم

يأمنهم من فاتهم طائعا	أو ساقهم كرها مطيعينا
أو راح فيهم طالبا نفعه	لا عاليا يأبى ولا دونا
من هان أو هان الورى عنده	أو سامهم في ظلمه الهونا
أولئك الرهط الذي لم يزل	يأمن ما يخشى النبيونا
يا بؤس أرض لا نرى فوقها	إلا طغاة أو مراثينا

الخلاصة الأولى والأخيرة

هما سبيلان من يبغ السلامة لا	يأسف على الحق أو يحلم برؤياه
ومن بغى الحق في الدنيا فلا أسف	على السلامة إن خانتته دنياه
قد يهجر الأمن من ذلوا ومن وهنوا	وما تفرق قط الهول والجاه
فاختر لنفسك: إما المجد في خطر	أو الهوان، وقد تشقى ببلواه
وما اختيارك إلا ما خُلِقْتَ له	إن الطبائع ما ترضاه نرضاه

عداوة الرجال وعداوة الأفكار

قصدا الرجال ورحت أقصد دونهم	إرضاء آمال لمصر كبار
فجنيت أحقاد الرجال وما جنوا	حقدا من «الآمال» والأفكار
ولعلمهم إن جاء يوم حسابهم	كسبوا من «الآمال» كل فخار
لولا الطبائع ما توسل عاقل	أبدا بغير وسائل الفجار

صراع بين ندين

بعض المجرمين يُوصَفون بقوة العقول؛ لأنهم صرعوا ضمائرهم ومضوا خفافا في طريق النجاح، ولو كانت ضمائرهم حية قوية لما استطاعوا قهرها ولا وصفهم أحد بكبر العقول، فربَّ عقل صغير غلب ضميره؛ لأن ضميره ميت لا يتحرك، ورب عقل كبير عنا لضميره لأن ضميره أكبر ... فخير لمن يصف عقلا بالقوة أن ينظر إلى الندين، وأن يرجع في حكمه إلى أصول الصراع!

يتعجبون لعقله العاتي	صرع الضمير الميت فالتفتوا
ما بين أحياء وأمواتٍ	ليس الصراع بفن مقدرة
تعنو العقول له زرافاتٍ	ولرب عقل للضمير عنا

صور الرجاء

والذكر آمال الزمان الغابر	أمسيت أذكرها ما مضى من صبوتي
تلقاه ييأس من حنين الذاكر	قد ييأس الإنسان من غده ولا
بعض الغد الآتي كأمس الدابر	ما شئت من صور الرجاء فلذ به

شفاعة العفو

أصل غرست لها جذورًا في الثرى	إن الإساءة إن رجعت بها إلى
حيًا ويابسها المحطم أخضرا	من علل الأشياء ردّ دفينها
كالفرع جف على الثرى فتكسرا	أولى بمحو الذنب أن يُلقى به

قصص وأماثل

أكاروس

قصة «ديدالوس» و«أكاروس» تُروى على روايات كثيرة في الأساطير اليونانية القديمة، وقد اخترنا هذه الأسطورة لنظمها والتعليق عليها؛ لأنها تجمع العبرة والمتعة الخيالية، وهذه هي خلاصتها: ديدالوس بطل كانوا يضربون به المثل للقدرة الخارقة في الصناعة وحسن الحيلة في تذليل المصاعب والخروج من المأزق، وزعموا أنه غار من ابن أخته الذي كان يتعلم على يديه فقتله وأخفى جثته، ثم خاف العاقبة فهرب من أثينا ومضى يضرب في البلاد برًا وبحرًا، حتى نزل «كريت» على صاحبها «مينو» فلقى عنده كرامة وحسن وفادة، وأمل «مينو» أن يستفيد من علمه وقدرته في تحصين بلاده وتعليم رعيته فأبقاه وتكفل له بالحماية وطيب المقام.

وكان لمينو زوجة جامحة الهوى تحب ثورًا مشهورًا في الأساطير باسم «منوطور»، فولدت منه طفلًا لا إلى الثور ولا إلى الإنسان، وغلب عليها حب الأم فأرادت أن تستحييه وتحفظه في غفلة من زوجها المخدوع، فلجأت إلى ديدالوس تطلب إليه أن يبني لذلك الطفل سردابًا مجهول المنافذ تضعه فيه وتتعهده بالتربية والحراسة، فتردد الصانع أولًا وحسب حساب الرفض والقبول، ثم قبل أن يصنع السرداب مخافة من دسياسة الزوجة واطمئنانًا إلى خفاء الأمر بعد بناء السرداب، ولكن الملك علم به فثارت ثورته وأغلق مسالك الجزيرة ومنع أن يفلت ديدالوس منها هاربًا من عقابه، فلما اشتد الحجر على ديدالوس هدته الحيلة إلى صنع أجنحة له ولولده «أكاروس» يطيران بها عن الجزيرة، ونصح الحكيم الصانع ولده ألا يعلو في السماء فتذيب الشمس لحام جناحه ولا يهبط على الماء فيبيلهما الرشاش الكثير، ولكن الولد نسي النصيحة وهو في نشوة الطيران

والوثوب، فعلا مصعدًا إلى الشمس وكان ما خافه أبوه؛ إذ سقط هالكا على صخرة في البحر يبكيه من حولها نبات الماء، فالأسطورة مجال لاستعراض عِبَر الشهرة والغيرة والشهوة والطماع:

وتلك المهاوي من خضارة^١ فاجنبِ
ونادى، فنحى جنده كل مركبِ
متى حيل ما بين السماء وكوكبِ
أنيس ولا جن ولا ذات مقلبِ
على سنة الطير التي لم تُهدَّبِ
على أهبة في جوّها المتقلبِ

أكاروس هذا مسبح الطير فاركبِ
زوى الغاشم المخدوع عنا سفينه
وظن بنا عجزًا، فيا سوء رأيه!
أدر مركب الريش الذي ما استقله
وطِرْ نلتمس عبر^٢ الشمال ونرتحل
تراها إذا ضاقت بلاد بسربها

* * *

إلى الأوج، فاحفظه لشوط مغيبِ
ولكن سبيل الأوج ليس بمقرب^٣
فلا تجعل العقبي إلى شر مهرِبِ
ولا تكُ من يعلو إلى غير مطلبِ
جناحك، أو تبتلّ بالماء ترسِبِ
لريشك وهي من رشاش مرطبِ
ومن خبرتي نخر الصناع المجربِ
صنيع الحجي لا الكف أنفس مكسبي
يخُنك جناح الرأي يومًا فتعطِبِ
أمانة روح لم يصنها لمأربِ
فأسند إلى عزم الصبا حزم أشيبِ

ألا وادخر عزمًا يقودك شرخه
وسر قدمًا إن المطار لواحد
أكاروس! إنا هاربان من الردى
توسط فلا تهبط ولا تعلُ مصعدًا
فإنك إن تغتر بالشمس ينخذل
هنا لافح يوهي اللحم، وها هنا
أكاروس، إني باذل لك من يدي
تذكّر عظاتي واعلم اليوم أنه
ولا تتخذ ريشي وتنس نصيحتي
أقل من الصخر امرؤ ضم جسمه
ولي فيك أعمار طوال وللدنَى

١ اسم معرفة للبحر.

٢ العبر الشاطئ.

٣ أي إنك إذا طرت إلى الأمام أو إلى فوق فالمطار واحد، ولكن المطار إلى فوق لا يقربك إلى قصدك، وإنما يقربك إليه أن تطير إلى الأمام.

حياتك من بعدي معادي، ولن ترى
وللألمس شوقٌ أن يرى الغدَ طالعا
بُنَيَّ استمع قلبي فما بعد نسيه
إلى الجو! هذا يا بني وداعنا
فإما لقاء بعدُ فوق صَعِيدِها

فتى صالحًا يجني الفناء على أبٍ
فإن مات يومٌ قبل ماضيه فاعجبُ^٤
سبيل إلى تكراره لمعقبٍ
وللأرض منا لهفة المتغربِ
وإما فراق شاعب كل مشعبٍ

وصاة لديدالوس وصى بها ابنه
صناع له كف كأن أكفنا
عليه بأسرار الفنون، وإنها
ومن يؤتَ تصريح الجماد يصف به
وناهيك ديدالوس من ذي حصافة
يُعيرك من يمناه صوله قشعم^٥
ويبني فمبناه عماد لأمة
ولكنه بنس الغيور على اسمه
تغيظ لما بزه فرع صنوه
فأصماه، لم يشفق عليه من الردى
وما كان إلا أن نبا بكليهما
فهذا مسجى في ثراها مترب
تشرد واستعدى لإخفاء أمره
ووارته من عين الغريم فنونه
وما زال يغروري البلاد ويتقي
إلى أن تلقته «كريت» وربها

ونعم الموصي من حكيم مدرّب
من العجز إن قيست بها لم تركب
لثقبس من سر الحياة المحجب
أكفًا وأعضادًا إلى كل منكب
قدير على فعل الأعاجيب معجب
وخلسة ثعبان وحيلة ثعلب
وبيت لأجيال وزين لمنصب
وقد يحمل الغيران أوزار مذنّب
ولم يرع حق الأخت في ابن محبب
وواراه، لم يندم ولم يتحوب^٦
فضاء أثينا من مقيم ومعرب
وهذا مزجى دونها كالمترب
نكاء يريك النجم في جنح غيهب
وكانت منارًا بين شرق ومغرب
تصعد أثناء الذرى بالتصوب
على خير أهل في حماها ومرحب

^٤ الكنف: الحز، يقال: أنت في كنف الله؛ أي: في حرزه.

^٥ القشعم: المسن من النسور، ومن كل شيء.

^٦ تحوب: أي تجنب الحوب، وهو الذنب.

وأمل «مينو» منه حصناً لملكه فحصنه «مينو» بملك مؤشِب^٧
وما ملك إلا له من صناعة معاقل يبنيها ليوم عصبصِ

هنالك كان الأمن لو يأمن امرؤ يُخاف ويُرجى للمخوف المؤرِب^٨
تحير ديدالوس ما بين منكر وشكر، وغب اثنيهما غير طيب
أحمل شكر الملك أم كيد عرسه وأنجاهما في طيه سم عقرب
غوت غرس مينو واشتتت، ساء ما اشتتت من الناس، لا بل من بهيم مذنب
تحن إلى ثور وتهوى اقترابه وليس ولي العهد منه بمعجب!
فأولدها طفلاً له مثل ظلفه إلى شر وجه آدمي ومنكب
ويا رب أنثى تعشق الثور كلما سباها فتى بالجسم لا الروح يستبي

فمن غير ديدالوس يخفي شناها ويرعى مهاد الطفل رعي المؤدِب؟!
أهابت به أمًّا وأنثى حريصة ومالكة حيرى، فلم يتهيب
بنى لسليل الثور حرزًا، وليته تلمس حرزًا من غوائل مغضب
غوائل «مينو» حين ثارت ظنونه وضاجع أشجان المعنَى المعذب
وأقسم لا واقٍ من الموت عنده ولا وائل من سخطه المتلهب
وأهول من هول الخضارم في الدجى ضراوة مهتوك وغيظ مخيب

فلما تنادى الجند وارتجت القرى وخيف الأذى من حاضرين وغيب
وقالوا: أمن رب الجزيرة حربه يوقيه عرض البحر أو طول سبب
أهاب الصناع العبقري بفنه فلباه، فاستعلى به متن أشهب^٩

^٧ متشابك ملتف.

^٨ المعقد المحكم.

^٩ الأشهب: الأمر الصعب، وقد يُطلق على الطير الجارح الأشهب.

تسربل من ريش وسربل نجله خوافق لوى بينها ألف لولب
فحلق مزهواً وفر مظفراً وأغرى لسان السخر بالمتعقب

مضى ناجياً من بأس «مينو» فهل نجا فتاه من البأس الذي فيه يختبي؟
بلى! قد نجا لولا طماح سما به إلى الشمس في ثوب من النار مذهب
تعشقها مفتونة فتقبلت هواه بوجه صادق النور خلب
وأسكره الشوق الجديد فما ارعوى لنصح نصيح أو لزجر مؤنب
وما هي إلا وثبة بعد وثبة إلى الشمس حتى عزه كل موثب
تعشقها ناراً، فإن جاءه الأذى من النار، فليعتب فلا حين معتب

علا بدم حي وخر مضمخاً به في جناحي أرجوان مخضب
طريحاً على صخر تغشيه رغبة من العيلم^{١٠} الغضبان في غير مغضب
وراحت بنات الماء يندبن حوله، ومن ير أنقاض الصبا الغض يندب
وما من عزاء للشباب علمته سوى مدمع من أعين الحسن صيب
إذا جال في حسبان هان عنده دموع ذراها^{١١} الحزن من طرف أشيب

عيد ميلاد في الجحيم

دخل شقي الجحيم، فحسبه مولوداً جديداً في ذلك العالم القديم، ومضى عليه العام
فاحتفل بعيد ميلاده، وقال لأترابه وأنداده:

صفوا الموائد واملأوا الأكوابا وادعوا الصحاب، وبشروا الأحبابا

^{١٠} العيلم البحر.

^{١١} ذرا الشيء: فرقه وبعثه.

قولوا مضى عام ليوم هبوطه
وبلا المقام فراح يحمد شر ما
هذا الجحيم أحب لي من عالم
الشر ثمة كان شرًّا كاسمه
يشقى بنوه ليعمره ويحشموا
لا يعرفون الحق إن سمعوا به
أهون بصابٍ في الجحيم أذوقه
صابًا إذا ارتوت الشفاه شربته
ولربَّ وجه يومذاك شهدته
وجه اللئيم إذا استهل ومثله
ورضا الظلوم وحيرة المظلوم في

هذا الجحيم، فقر فيه وطابا
فيه، وآدب^{١٢} باسمه إيدابا
ما كان لي إلا رجاء خابا
والخير كان كما علمت سرابا
فيه الشقاء ليرجعوه خرابا
إلا ليلقوا في الحقوق عذابا
قد كان ثمة كل شيء صابا
بالناظرين، وساء ذاك شرابا
فكأن سمًّا في العيون انسابا
وجه الكريم إذا اضمحل وذابا
بلواه يطرق كل يوم بابا

يا صاحب حيُّوا النار في ويلاتها
ما كان من حسن هناك فجهدته
أو كان من فضل هناك فحسبه
يا صاحب هاتوا من علاقمها لنا
من عاش عامًا في الجحيم فلا اشتهى

واحثوا على ذاك التراب ترابا
أن يخذع الأبصار والألبابا
أن يملأ الدنيا عليك صعابا
وادعوا الأحبة واشربوا الأنخابا
أبدًا إلى ذاك الجوار مآبا

هو وضميره

هو:

ماذا أقول؟ ظلمته وجدته حق الثناء، وإنه لعظيم

^{١٢} أقام مأدبة.

ضميره:

قل إنه خير الأنام، وإنه عالي المقام، وإنه مهزومٌ

هو:

هيهات! أخسر ذلك المال الذي تدري مصادره، وأنت عليم!

ضميره:

لك أن تبوح إذن بباطن سره
قل إن رب المال أثقل خاطري
وتلوم من هو في الخفاء ملومٌ
فكبا بحمل الصدق، وهو كظيمٌ

هو:

أفأنت خصمي يا ضمير؟ أناصح
أتريد أفصح أجري^{١٣} وأرتدي
لي بالجنون؟ أهازل؟ أسقيم؟
ثوب الصغار، فيبرح المكتوم؟

ضميره:

كيف الخلاص؟ إذن تنقص قدره
قل إنك الرجل الغيور، وإنه
لا ترتدي ثوب الصغار ولا تشي
وتروح بين الناس صاحب سمعة
وامسخ فضائله، ودعه يهيمُ
فدم،^{١٤} وإنك بالعقول رحيمٌ
بالأجرين، وغيرك المحرومُ
ينفضُّ حولك مسكها المختومُ

^{١٣} جمع أجر.

^{١٤} جاهل غبي.

هو:

بُورِكت يا هذا الضمير فأنت لي
الآن فاذهب «تستريح» فإنني
أولست بالرجل الغيور؟ أجل أنا الرُّ
أبدًا بتهوين الصعاب زعيمُ
سأظل أقعد غاضبًا وأقومُ
رَجَل الغيور! وحبذا التعليم!

كعبة الأصنام بعد الزلزال

كانت الكعبة والأصنام فيها
حفلت في كل ركن بالدمى^{١٥}
هي أصنام لمن يعبدها
عظمت حينًا فلما زلزلت
كان فيها صنم الحق نبيها^{١٦}
نزع الزلزال عيني رأسه
وارتمت ساقاه في جانبه
زينة تأخذ قلب الصب تيهها
والدمى مستعبدات صائغيها
أو تماثيل تناجي عاشقيها
كاد من صلى إليها يزدريها
فتداعى، فبدا مسحًا كريها
فاحتوته ظلمات غاب فيها
هل ترى داعيه إلا سفيها؟!

كانت النخوة فيها صنمًا
يخلب الطرف بحسن واضح
فارتمت أذناه في الأرض لقي
يطلب الغوث ولا غوث له
والإخاء المحض كم أبصرته
قائمًا يفتر عن مبسمه
شقه الزلزال فانجاب لنا
صاغي السمع، كما شئت، نزيها
وسمات تزدهي من يجتليها
ومضت كف بلا كف تليها
هل ترى داعيه إلا سفيها؟!
حيث لم أبصر له قط شبيها
واسع الصدر، يحيك وجيها
عن حنايا صدره لا قلب فيها

^{١٥} جمع دمية، وهي التمثال.

^{١٦} النبيه: من النباهة، وهي الظهور والشهرة.

خير ما في وجهه ظاهره هل ترى داعيه إلا سفيها؟

* * *

وتراءى الحب فيها فتنة ما اجتواها زائر من زائريها
ضرب الزلزال في أضنامة فهوت أشلاؤها تنعى ذويها
ما الذي أبقاه من أشلائها؟ سوأة يعرض عنها مشتئها

* * *

وهوى تمثال مجد لامع يخطف العين بنور يعتليها
ملأ الدار علينا جوهرًا زائفًا ينطق بالزيف بديها
وقشورًا لا تساوي وزنها من تراب، لن ترى من يشتريها
هي إن قامت جمال فإذا سقطت، لم تكد العين تعيها

* * *

هكذا أقوت زوايا كعبتي وثوت خاوية من ساكنيها
غير أنني طائف من حولها لم أشأ أهجرها أو أبتنيها
لا طواف المتملي^{١٧} حسنهما أو طواف المهتدي من عابديها
بل كمن نقب في جوف الثرى يجمع الآثار في شتى سنيها
من فراغ لا من الرغبة في تلكم الآثار، أمسى يقتنيها
أو هي العادة كالطيف إذا هام بالأحداث يبكي نازليها

بين الشاعر وعروس شعره

كفى يا عروس الشعر خيب آمالي وكذبت أحلامي، وأشمت عذالي
إذا ما وعدت اليوم أخلفت في غدٍ وهيهات لا تبقين يومًا على حالٍ

^{١٧} تملى الحسن: نظر فيه واستمتع برؤيته.

يظل غريباً من أعارك سمعه وإن عاش أجيالاً عفت بعد أجيال

كفى يا صديق العهد هيجت بلبالي
ملاكم فيه الحق، أو فيه بعضه
إذا قلت زوراً فهو من صدق شيمتي
إذا هزلت أمني الحياة فهل ترى
بحسبك من عذري إذا ما عدلتني
وما أنت بالسالي هواي ولا القالي
وما غاب عن ظني ولا بان عن بالي
ومن يصف الدنيا يصف خيم^{١٨} ختال
من الصدق ألا يطرق الهزل أقوالي؟
أمانة تمثيلي، وروعة تمثالي!

إبليس ينتحر

الاستعباد هو الجو الذي تعيش فيه الشياطين لأنه جو الخوف والإغراء، وإبليس يخاف
أن يخرج منه إلى جو الحرية كما تخاف السمكة أن تخرج من الماء:

هاتوا لي الخير والهدى جرعاً
حرية القوم أفسدت خدعي!
إن مُنِعت لذة حفزت لها
أو حجبت شهوة أزينها
وإن طغى ظالم له خنعوا
لو دام هذا البلاء واتسعت
واستغنت الأرض والسماء معاً
ما حاجة الأرض للأبالس في
وكيف تغذوهم بلا عمل
وأين يأوونها إذا قشعت
أتى زمان أموت فيه أنا
أبضع نفسي حزناً كمن بخعا
لم تبق لي في الأنيس منخدا
فكيف حفزي من لم يكن مُنِعا؟
فكيف تزيين ظاهر سطعا؟
فكيف يطغى إن عز من خنعا
حرية القوم ضاق ما اتسعا
عن الشياطين فانطوا جزعا
عهد نضا الخوف عنه والجشعا؟
وهي على السعي شأنها اجتماعا؟
عنها ظلام الدهور فانقشعا
إبليس يأساً، وفي يدي صنعا

^{١٨} الخيم: الطبع والعادة.

ودعت ملك الدنيا وودعني	ملك إذا هم قلماً رجعا
هاتوا لي الخير جرعة فإذا	ضعفتُ عنه شربته جرعا
سأسبق الموت حين يتبعني	فإنه لاحق إذا تبعنا

وصف وتصوير

خليج ستانلي أو حمام البحر في الإسكندرية

يا ويح قلبك من هدف	صال المسدد أم صدف
بين الملاح المفرغا	ت من الأشعة والسدف ^١
سمر كما اسمر الجنى ^٢	بيض كما ابيض الصدف
كشف الخضم طلاءهن	ن، ولا حجاب لما كشف
قف في سبيلك لحظة	وانس الشقاء وما اقترف
حيث الخماص ولا طوى	حيث العراة ولا شظف ^٣

* * *

يا ويح قلبك من هدف	بين البضاضة والهيف
«كوبيد» ^٤ يعرض من سلا	حيه الفخامة والرهف
تلقى الطويلة كالقصيـ	رة، والسماحة كالصلف ^٥

^١ السدف: من الأضداد، بمعنى الظلمة وبمعنى الضوء.

^٢ الفاكهة التي تُجنى.

^٣ الخمصانة ضامرة البطن، والطوى الجوع، والشظف ضيق العيش.

^٤ رب الحب في الأساطير اليونانية.

^٥ الصلف الكبرياء.

وحي الأربعين

برق السحاب طوالها وقصارها برق خطفُ
والسهم يقصد^٦ إن جثا رامي السهام أو اشترف^٧

يا ويح قلبك من هدفُ بين الأناقة والترفُ
بل بين ألوان الربيع ع قد اختلفن، وما اختلفُ
ألقى لهن بقوسه قزح، وأدبر وانصرفُ
فلبسن من أسلابه شتى المطارف والطرف^٨
وخلعن من ألوانه تحفًا تنم على تحفُ
عيد الشباب فلا كلا م ولا ملام، ولا خرفُ

يا ويح قلبك من هدفُ بين الصغيرة والنصف^٩
ري لمن طلب الهوى رِيًّا، ولذة من رشف^{١٠}
كالزهرة الحسناء أو كالغصن في الروض العطفُ
أن تعلم ما تجهلا فلأنت تعلم ما التلفُ
ولأنت تعلم ما الجوى ولأنت تعلم ما الشغفُ
الحب يرمي عنهما يا ويح قلبك من هدفُ!

يا ويح قلبك بين ذي وطن بمصر وذي كنف^{١١}

^٦ أقصده: طعنه فأصابه.

^٧ اشترف: وقف منتصبًا.

^٨ المطرف: الرداء، والطرفة: ما يُستملح ويُستظرف.

^٩ النصف: متوسطة السن.

^{١٠} رشف الماء: مصه بشفتيه.

^{١١} الكنف: الحرز، يقال: أنت في كنف الله؛ أي: في حرزه.

أو بين غربي عطفُ	ما بين شرقي جفا
ف« تكلف بك أم كلفُ؟!	سل عصبه سكنت «جنيـ
م، وما السلام بمحترفُ	تدعين حرفتك السلا
بين الحدود، ولا جنفُ	هذي الملاحة قربت
ترك المذاهب واثلفُ	دين الملاحة واحد
ة وملجأ لا يُعتسَفُ	حرم بميدان الحيا
إلا طبيب أو دنفُ	ما في جوانب بيته

مور، ومن يعبر وقفُ	قف في عبورك غير مأُ
فاذهب، فكم لك من خلفُ	فاإذا ذهبـت مولياً
صدق الجمال وما حلفُ!	قال الجمال فلا تخف
أحيت مواسم من سلفُ	هذي المحاسن موسم
وغداً تفرقها الغرفُ	جمعت لعينك ساعة
وطغت على أعلى الطنف ^{١٢}	ملأت خليج «ستانلي»
والبحر أعـى من غرفُ	بحر تتابع مده
منها وحيـاك الوطف ^{١٣}	زمر تصباك الظمى
لك ما عناك من الذلف ^{١٤}	وعنـاك من شمم هنا
قاني الشفاه له ازدلف ^{١٥}	ورأيت معسول اللمى
كالشعر من غسق رجفُ	والشعر من شفق هفا
كالنور في رعد قصفُ	والنور في بدر سرى
كالجيش أهول ما زحفُ	فتن شهدت زحوفها

^{١٢} الطنف: ما برز من البناء.

^{١٣} العين الظمياء: الرقيقة الجفن، والوظفاء: الغزيرة شعر الجفن.

^{١٤} الذلفاء: الصغيرة الأنف.

^{١٥} اللمى: سمرة في الشفة، وهي من الألوان المحبوبة قديماً وحديثاً، وازدلف: تقرب.

فهتفت «فليحي الجما ل» وقد يعاقب من هتف!
هذي معارض صنعة لله تبهر من وصف
حي الجمال كما بدا أو لا فدونك والجيف!

يا ويح قلبك من هدف بين التعلل واللهف
كم ذا رأيت، وكم طمع ت، وكم قنعت ولا أسف
أسرفت حتى قد عرف ت القصد من هذا السرف
ما زال يطمع من رأى ما زال يقنع من عرف

مدينة الشمس

صدقوا! فأنت مدينة الشمس وهبتك من نور ومن قدس
كم للنهار عليك مائدة من فيضه، كموائد العرس^{١٦}
تجد العيون بها كفايتها ويزيد حظ القلب والنفس
لحسبت أرضك وهي مشرقة تفتت عن لمحات ذي حس
بعض الضياء إذا نظرت به أغناك عن سمع وعن لمس^{١٧}

شمس أسوان

شمس أسوان في الشتا ء ارقصي أو تبرجي
إنك الشمس صُورَتْ فوقنا للتفرج
لا لدفع كما ادعوا أو لتوضيح منهج!

^{١٦} موائد العرس مشهورة بالمبالغة في السخاء.

^{١٧} إذا شغل الضياء النفس لفرط بهائه وشموله أفعمها بالحس؛ فلا تلتفت إلى ما يُسمع ويُلمس.

الجسم الخجل

أرى في البحر أجسامًا تشعُّ عليها من حياء الحسن درعُ
إذا ما الماء جمشها تراءى لها خجل على الأعطاف بدعُ
وما خجل الخدود وذاك جسم سنى الخجل المورد فيه طبعُ؟

القمرء

كلما أشرق في الليل القمرُ
وسها الناس ولازوا بالحجرُ
خِلْتُ أرواحًا تداعت للسمرُ
زمرًا تهمس من حول زمرُ
أن هذا الحسن لا يمضي هدرُ
حينما أسفر نور وانتشرُ
وحلا في خلوة الليل السهرُ
فهنا لا ريب حس وبصرُ
شيمة المسحور يقفو من سحرُ

غزل ومناجاة

مباراة في مزايا الشفاه

تبارت شفاه حباها الإله بشتى المزايا، وشتى النحل
لأَيِّ الشفاه تجيب السماء وأي الشفاه هناك الأول

* * *

فنادى جبابرة العالمين نداء المدل بأمر جَلَلْ
لنا وحدنا صولجان العلا ومنا الرجاء، ومنا الوجَلْ
إذا ما نطقنا توالت خطوب وصالت شعوب، ودالت دُولْ
وفي همسة تنجلي فتنة وفي مثلها يتدانى أَجَلْ
ونادى العباقرة الملهمون صحاح المعاني فصاح الجُمْلْ
لنا وحدنا جائزات الشفاه إذا اختلفت سبلها في الجَدْلْ
فمنا الجمال، ومنا الهدى ومنا العزاء، ومنا الجذلْ
وبالنطق يكتمل الآدمي وفينا تكامل حتى اكتمَلْ

* * *

وأقبل سرب الأطباء الملاح رخم البغام^١ مليح الكحل

^١ البغاء أرخم صوت الطبي.

وحي الأربعين

فقال وفي قوله لثغة	كأنك ترشف منها العسل
لنا القول فيكم رجالَ الكلام	لنا القول فيكم رجالَ العمل
لمسنا شفاهاً ففاضت سنًى	وجرنا على جائر فاعتدل
ومنا تذوقون طعم الحياة	وهل طعمها غير طعم القُبُل
تسمونها قبلة واسمها	رحيق الخلود، ورِيًّا الأمل

* * *

فأطرق ربهم لحظة	ونادى بأقربهم فامتثل
وقبل مبسمه قبلة	تضرم منها مكان الخجل
وقال: أجل! تلك أغلى الشفاه	فأصغوا، وقالوا جميعاً: أجل

* * *

بذا حكموا بعد طول المطا	ل، فليسمعوا رأيي المرتجل
إذا التمسوا مثلاً للشفاه	ه، قلت لهم شفتاك المثل
لثمت الحياة بلثميها	وعاودت بعد السلو الغزل

المعاني الحية

أمواج حسن زاخره	تلك الوجوه الناضرة
فتن على فتن وغا	مرة تليها غامرة
طوفان نوح أنتم	ليت السفينة حاضرة

* * *

يا جيرة البحر اقنعوا	منا بعين ناظرة
ودعوا القلوب كليله	ودعوا القرائح عاثرة

* * *

من كل وهاب لكم	نعمى هبات وافرة
خلع الإله عليكم	خلل الجمال الفاخرة

غزل ومناجاة

والبحر نشوة خمرة	خمر البحار الكاسرة
والشمس ما تهدي الثما	ر الناضجات الباكرة
ورأيت رفرفة النسيـ	م على الجسوم الطائره
فالآن ماذا تنظرو	نَ من النفوس الشاعره
لم يبقَ في كنز الخيا	ل بقية من نادره
برزت معاني الشعر في	ثوب الحياة الظاهره
أنتم معانيه فما	تغني النفوس الحائره
أنتم عرائسه وها	تيك المسارح عامره
هيهات، ما لممثل	أو شاعر من خاطره
ما الترجمان وتلك أسـ	رار التراجم سافره
فإذا بخلنا بالقصيـ	يد فعاذر أو عاذره

غزل فلسفي: فيك من كل شيء

فيك من شمس الضحى العين التي	ترسل اللحم مضيقاً في الظلام
فيك من بدر الدجى أحلامه	حين يسري نائماً بين نيام

فيك من كل ربيع طلعة	تنبت النضرة عاماً بعد عام
والشتاء الجهم لا يعدوك من	عهده العاصف برق وغمام

ما تغنى الطير إلا بعض ما	أنت راويه، ولا ناح الحمام
وإذا الجدول ناغى نفسه	فهي أصداؤك من غير كلام!

وصنوف الوحش هل ناظرتها	من نفار بينكم أو من وثام؟
لا انفتال الحوت تنساه ولا	سطوة النسر ولا خوف النعام

* * *

فيك من نار الحياتين الهوى هل حياة الحي إلا من ضرام؟
والذي أرهبه وا أسفًا هجرك المدعو بالموت الزؤام!

* * *

فيك من دنياك نقص رائق ومن الأخرى تباشير التمام
ومن الأملاك طيب ورضًا ومن الشيطان غي وأثام

* * *

ومن الخمرة سكرها إذا أسلست في النفس أو طاش الزمام
ومن القوت غذاء، ومن الـ ماء ري، ومن الجوع هيام

* * *

فيك من أرضك حظ وافر وحظوظ من سماء لا تُرام
أجديد؟ إي نعم. قال الصبا أقديم؟ إي نعم. قال الوسام

* * *

هذه الروعة هل تجمعها في مدى يوم لحوم وعظام؟
لا وربّي! بل دهور غبرت قبلما تتقنها الأيدي الكرام

* * *

قبلما تتقنها الأيدي التي نسقت أنوالها، وهي حطام
من وراء اللب صفاً ينتهي بعد صف، بين سدي^٢ ولحام

* * *

^٢ السدي من الثوب: ما مُدَّ من خيوطه.

غزل ومناجاة

فيك من هندسة علوية ما استدار الخط فيه واستقام
ومن الفن مثال بانخ هو للمثال والشادي إمام

* * *

فيك مني ومن الناس ومن كل موجود وموعد تؤام
كيف بي أعدل إن أغنيتني أنت حتى عن شرابي والطعام
إن نفوني اليوم من دنياهم وأباحوا لي من الزاد المرام
ثم قالوا: ما تشأ منها فخذ! قلت هذا، وعلى الدنيا السلام

* * *

قلت هذا، وتقدمت إلى هوة الغيب، وفي الثغر ابتسام
كيف لا يبسم من قبلته تنظم الأوطار طرًا في نظام؟!

* * *

وإذا قبلته مستضحًا في تخوم الكون، والكون سدام^٣
فهو سخري بالذي ودعته واغتباطي بمقامي حيث قام

نصرة في الشتاء

يا نصرة في الشتاء أبصرها أبهج من كل منظر نصير
كأنها والعيون تنهبها والنفس تروى بحسنها العطر
ألف ربيع للعين مدخر بل ألف حب للقلب مختصر
يا طيب ذاك الإكسير مجتمعا من حسن شتى الرياض والغرر
أضمه كله وأرشفه في قبلة كوثرية السكر

^٣ سدام: بمعنى ضباب.

الشادن المتحيل

أشهدتني مكر الثعا	لب في الغزال الأكحل
وتركتني أرمي الشبا	ك لقيء وأكسر مغزلي
لا ألقينك بعدها	أبدًا بفخ أعزل
فحآن أولى باقتنا	ص الشادن المتحيل

القبلة

هي كأس من كؤوس الخالدين	لم يشبها المزج من ماء وطين
كلما أفرغتها منتشياً	مُلئت من كوثر الخلد المعين ^٤
وإذا أمتعك الري بها	بدأ الشوق إليها والحنين
قد شربناها معاً في ليلنا	فروينا، وافترقنا ظامئين!

حسرة متلفة

يا له من فم	يا لها من شفة!
يا لشهد بها	كدت أن أرشفه
يا لزهر بها	كدت أن أقطفه
حلوه ويحها!	غضة مرهفه
حسرتي بعدها	حسرة متلفة

^٤ اللقي: الشيء الملقى والمطروح.

^٥ الماء الجاري في سهولة.

الجملة والتفصيل

جُمِعَتْ محاسن في صباحك تفرقت
في صنعة الخلاق أي تفرق
في الشمس، أو في الروض، أو في الطير أو
في الجدول المترقرق
فإذا نعمت بها لديك فحبذا
نعماي في ظل الجمال الريق
وإذا ضننت بها رجعت أرودها
في حينما افترقت، ولما نلتق

راووق النور

لا أرى الدنيا على نور الضحى
هي كالراووق للنور فلا
حبذا الدنيا على نور العيون
صفو إلا صفوها العذب المصون

النظرات تلتقي

نظرات العين في العين
تلك أحلى ما حلمت به
جمعت أشواق نفسيين
من نعيم في الحياتين

الجسم الضاحك

ثغرك الضاحك، لا بل
لا بل الدنيا التي تو
هكذا فليبسم البا
أو فينسى البشر حتى
لا يُلام العابس اليا
وجهك الضاحك، لا بل كل جسمك
مض نورًا حول نجمك
سم إن شاء كبسمك
ينقل البشر، بلثمك
ئس إلا بعد لومك

إلى الغرق

دعتك العرائس في بحرهما
إلى الماء! لا بل إلى السابح
فليس على البحر إلا غريقٌ
سواحره احتشدت كلها
ففيم الوقوف على الساحل؟
نَ، لا بل إلى الغرق العاجلِ
وإن لم يكن فيه بالنازل!
علينا. فيا ويح للغافلِ

لست بلحم ودم

رائعٌ يخطر في مشيته
لم يرُعني حينما أبصرتهُ
ما قضيت العمر إلا حالماً
أنت وهمٌ لم تزل في خاطري
خطرة الطَّيف لمن لم ينم
حلمًا تم تمام الحلم
كيف بالروعة من ذي قدم
لست يا صاحُ بلحم ودم

مائدة

مائدة أسرف في طهيها
أكرمنا الطاهي بها ساعة
حسن وأنس وحياء معاً
مدت لنا طوعاً فما عذرنا
عشرين عاماً عبّري الزمانُ
فكيف بالمكرم يلقي الهوانُ
وطلعة البدر ونفح الجنانُ
إذا تركنا لقمة في الخوان^٦

^٦ الخوان: ما يُوضَع عليه الطعام.

يوم مزيف

لك وجه كأنه طابع الصدِّ قِ على صفحة الزمان المأوفِ^٧
إن يوماً يمر بي لا أراه هو يوم أعدّه في الزيوفِ

سعادة في قمقم

هنا قمقم سابح في الدمِ أسائل عنه، ولم أعلمِ
جهلت خباياه حتى أتى عريف الطلاسم بالمعجمِ^٨
ففيه كما قيل مسجونة سعادة بعض بني آدمِ
تجن جنوناً بنور الضحى وتذبل في حبسها المظلمِ
وقد زعموا أن إطلاقها رهين بهمسة ذاك الفمِ
بسر على شففتي فاتن يُباح إلى شففتي مغرمِ
فهل أنت مطلقها منعماً فديتك، أم لست بالمنعمِ
وما أنا بالمشتهي قبلة ولا بالحريص على مغنمِ
ولكنما أنا أبكي أسى لتلك الشهيدة في القمقمِ

خير ما فيهن

غفر الذنب من بكائي عليكِ أنني لا أعود ما عشت أبكي
لا يساوي — وقد تعلمت منك — نسل حوائكن دمة شكِّ
خير ما في النساء ساعة ضحكِ

^٧ المأوف: المصاب بأفة.

^٨ المعجم الكتاب الذي يفسر الغريب والمشكل.

زهرة لا تذبل

في الصيف يزكو عند مس السموم أجل، ويزكو عند مس الشتاء
خذك هذا أي نبت يدوم ريان في كل أوان سواء؟
يا ويلتا من نبت هذي الكروم فالجوع موصول بذاك النماء
وهل ترانا كل يوم نصوم؟

ليلة البدر

هات لي الذكرى وجدد ما مضى، عندك الذكرى ورُجعاها معا
هات ما كان كما كان انقضى، أو فجدد غيره مبتدعا
ليلة البدر، وقد كان الرضى موعد الأهرام نبغي مطلعاً
فقضى الله سواه غرضاً

قد نوينا ونوى الغيب لنا نية أمتع للمستمع
خسف البدر وأمسيت أنا أدعي من نشوة ما أدعي
كلما ناديتني هيا بنا! قلت: هيا! وأنا في موضعي
السنا عندي فما لي والسنا؟!

خُسف البدر وما كان الخسوفُ شيمة البدر الذي بين يدي
نُشر الناس وطافوا بالدفوفُ وأنا والبدر في نشر وطي
خلّ من شاء كما شاء يطوفُ إن بدري طالع منه إلي
لا أحب البدر ترعاه الألوفُ

يا سمير الليل يا نغمَ السميرُ ما لنا والصبح ما دمت أراك
أنا في نور وروض وعبيرُ حينما ألقاك لا ألقى سواك

غزل ومناجاة

رشفة من ثغرك العذب النضيرُ أو من الكأس احتوتها شفتاك
وسلام أيها الكون المنير!

* * *

هاتِ لي من فيك أنفاس الغرام أو فقل إن شئت أنفاس الحياة
واسقني الخمرة من أعذب جام لا من البلور في أيدي السقاة
ثغرك الضاحك كأس ومدام ونديم لي، وراو في الرواة
ينشد الشعر فيشجيني الكلام

* * *

ينشد الشعر جديدًا كالصبا وأنا ناظمه منذ سنين
بث فيه من صباه عجا فإذا قلت ارتجال لا تمين
هاتِ لي الحسن وهاتِ الأدبا واسقني الخمر من الثغر المبين
ذاك حسبي في زمني مطلبًا!

أشعب الأهواء

كلما أمسيتُ في وكري قلت: يأتي! كيف؟ لا أدري
أمل غطى على فكري فهو ذنبي فيك أو عذري

* * *

لم تزرني غير مصطحب كيف أرجو قربة القرب؟
أشعب الأهواء غرر بي فرجوت الصدق في الكذب

حجاج وروما

آل روما لكم منَّا الولاءُ
وسلام كلما ضاء لنا
في حماكم كعبة ترمقها
كعبة لا كالتّي يعمرها
من حياة هي لا من بنية
كرمت روما وذكرها بها
نزلت ثمَّ حجيًّا داعيًا
وثناء عاطر بعد ثناء
شارق الصبح، أو اظلمَّ المساءُ
مهج منا وأماق ظمأُ
بينكم رهط القسوس الحنفاءُ^٩
شادها صخر ووشاها طلاءُ
وبنو روما، وما تحت السماءُ
وهي أولى بحجيج ودعاءُ

قبلتي يا «حُسْنُ» من ذاك الحمى
ورجائي اليوم في مغربها
سلمت روما التي أنت بها
وكساها لك نسّاج الرّبي
وجلاها لك من يجلو لنا
والذي أولاك من أنعمه
ليت شعري كيف ألفت بها
أترين اليوم فيها عجبًا
وبنو الرومان هل هم بدعة
أحسب الأيام بحرًا واحدًا،
من يرَ النفس من الباطن لا
من يرَ الفن خيالًا فله
أنت لا القبلّة من ذاك البناءُ
وجهك الباسم لا وجه ذُكاءُ^{١٠}
وسرى يُمنًا بها ساري القضاءُ
كل يوم زينة شتى النماءُ
بشعاع منك آفاق الرجاءُ
بهجة النورين: حسن وذكاءُ
سيرة العصر وذكرى القديماُ
أم قديمًا كل يوم في رداء؟
أو هم الناس رياءً في رياء؟
ما اختلاف الموج فيه والهواء؟
يحفل الظاهر في الدور القواءُ^{١١}
بالرؤى^{١٢} عن نظرة العين غناءُ

^٩ الحنيف: المتمسك بالدين.

^{١٠} اسم من أسماء الشمس.

^{١١} الخراب والفقر.

^{١٢} جمع رؤيا وهي الحلم، والمعنى أن الذي يدرك جمال الفن بخياله لخلق أن يشعر بمتعة الفن دون حاجة إلى الصور التي تمثله للعين.

بيد أن النفس من عاداتها تخلق الأشباح في كل فضاء
وتحب الظل حينًا والصدى، وأصول الظل فيها والغناء^{١٣}

* * *

أنت في روما وفي مصر أنا بعدت شقتنا لولا النجاء^{١٤}
بيننا جيرة نور ساطع فوق رأسينا، ونور في الخفاء
أرقب البدر إذا الليل سجا فلنا فيه على البعد لقاء
وأورد الشعر في مثل الكرى فإذا فيه من الطيف عزاء^{١٥}
حلم الصادي^{١٦} فمن يوقظه وعلى فيه من الماء شفاء
أنت يا «حُسْنُ». وهل أنت سوى حلم في يقظة القلب أضاء؟!

الأزاهير الآدمية

الأزاهير في الشجر لا اختلاف ولا صُور
والأزاهير في الغرر^{١٧} حيرة القلب والبصر
بينها الزهر والثمر بينها الشمس والقمر
بينها التبر والدرر والمصابيح والشرر
عين يا عين لا نظّر! ها هنا! ها هنا الخطر

^{١٣} المعنى هنا استدراك على البيت السابق، وفحواه أن النفس تعودت إذا هي شعرت بالعاطفة أن ترى لها ظلًا مصورًا وتسمع لها صدىً مترددًا، ولا يغنيها عن الظل والصدى أنها هي تشتمل على أصول هذه الظلال والأصدا، وهي العواطف.

^{١٤} النجاء: هو المناجاة أو المسارة.

^{١٥} الشعر يستحضر الأظلياف كما تستحضرها الأحلام، فالشعر من هنا شبيه بالكرى.

^{١٦} الظمان.

^{١٧} جمع غرة، وهي الطلعة والوجه.

عيد ميلاد

كان الأقدمون يحتفلون بانتقال الشمس في الموعد الذي اختاره المسيحيون لإحياء مولد السيد المسيح بعد ذلك، وكلا هذين الموعدين يوافقان يوم الميلاد المعنوي في القصيدة التالية:

أقبلت والشمس والمسيحُ	في مولد واحد، سواء
في وجهك المشرق الصبحُ	هداية الحق والضياء

* * *

تهيأ الكون من قديم	ليوم ميلادك السعيد
فعابد الكوكب العظيم	أحيا ببشراك يوم عيد
ومولد «السيد» الرحيم	وافقه المولد الجديد
يوم تهدى على المديح	وزفه الخلد بالثناء
فالدهر في عمره الفسيح	عوده البشر والدعاء

* * *

النور والحسن واليقين	تحتفل اليوم في مكان
إحدى وعشرين من سنين	قد تم في أوجها القران
ثالثكم تم بعد حين	فليمض ما شاء في أمان
وليتهف المنشد الفصيح	بالحمد في العيد والغناء
كلاهما مغنم ربيح	لعاشق الأرض والسماء

لو كان إلها

قال الشاعر الفرنسي «دوجيرل» لحبيته:

لو كنت إلها لأعطيتك الأرض والهواء وما على الأرض من بحر، ولأعطيتك
الملائك والشياطين الحانية بين يدي قدرتي وقضائي، ولأعطيتك الهيولى وما في

أحشائها من رحم خصيب، بل لأعطيتك الأبد والفضاء والسموات والعالمين؛
ابتغاء قبلة واحدة.

وسُئِلَ صاحب هذا الديوان: «وماذا تعطيني أنت لو كنت إلها؟»
فقال:

تبدي القلوب من الغرام الصادق؟! ربِّا، أخذتكِ أنتِ أخذ الوثاقِ أحلى وأكمل من جميع خلائقي نبضات قلبي المستهام الوامقِ أهونُ لديكِ بأنجم وصواعقِ وبكل بحر في البسيطة دافق!	أعطيكِ؟! كيف وما العطاء بخير ما بل لو غدوتُ كما اشتهيتِ وأشتهي فترين أنك حين فزتِ بخطوتي وتسيطرين على الصروف، وفوقها إن كان رب الكون عندك قلبُه وبكل شمس في السماء وضية
--	--

حرمان أو عطاء؟

ألقيت في صفحتها بالذبابِ فليس فيها مورد مستطابِ بالضن، أو أسعدني بالعذابِ ما أجدر اللوم بذاك المصاب!	مائدة كم بت أشتاقها أرحتني منها، فقد عفتها فيا زماناً جاد لي منعماً إن تطلب الشكر على راحتي
---	--

أيعشقون؟

هيهات! بل تكذب العيون واعجباً! كيف يعشقون رجم الأساطير والظنون إن ذكروا الحب يقتدون	أيعشق الناس يا حبيبي؟ إن لم يحبوك يا حبيبي ما الحب لولا هواك إلا أحببتُ حتى حسبت غيري
--	--

معرفة متأخرة

عرف الناس فضل ذا الميلادِ	بعد سبع من السنين وعشر
ضَ بأضعاف حسنِها المرتادِ	عرفوا أي نعمة زارت الأَرَّ
سأَ مع الشمس أشرقَتْ في البلادِ	عرفوه لما رأوا بينهم شمـ
فرعَوْا عهده بذكر معادِ	عجبوا كيف فاتهم يوم وافى
للذي فاز فيه بالإسعادِ	ذاك ميلادك السعيد هنيئًا

ماذا عليه؟

وإذا التوى ماذا عليه	ماذا عليه إذا استوى
مهما تعسف، في يديه!	هذا القوام جماله
مالت جوانحنا إليه	أنى تمايل عطفه
شغفًا برؤية صفحتيه	أشتاق بعض نفاره

ملتقى الربيع

في روضة، بل طلعة، بل شَفَه	هاتِ الربيع الغض لي كله
في قطفة، فالرأي أن أَرشَفَه	إن فاتني جمع أزهيره

نبضات جديدة

أيها القلب! فأسمعني صداك	خفقات تلك من وزن جديد
أنت تهواه فلا تنكر هواك	ذلك الوجه، وما العهد بعيد!

* * *

كل يوم بعد يوم كي تراه	أنت تهواه وتسعى بي هنا
في صريح القول، نستجلي سناه	لا تراوغني وقل هيا بنا

* * *

تحسب الرقة فيه ألمًا فإذا أنت من الوجد تذوبُ
لا يكون الحب إلا هكذا أنا لا أجهل أسرار القلوبُ

* * *

كاصفرار الشمس في ثوب الغروبِ واصفرار العاج في ثوب القدمِ
ذلك اللون نسميه الشحوبُ وهو في الحسن شفيع للسقمِ

* * *

رحمة للقلب من ذاك الوجيهِ صيغ من دُوبَي حنان وحنينِ
كلما رفرفت بالعين عليهِ شبه الفرحان عندي بالحزينِ
إن أشأ قلت خيال في الكرى أو أشأ قلت عيان لا خيالِ
جمع الأمران لي فيما أرى حين صح الحلم في خير مثالِ

سنة جديدة

أدركنا موكب السنينِ في موكب الحب سائرينِ
والحب من يغش ركبهُ يساير النجم كل حينِ
راجع حساب السنين يا نجم، فما نحن حاسبينِ
أبالألوف احتسبتّها؟ أم لم تزل تجمع المئينِ؟!

* * *

يا سنة أقبلت لنا، أقبلت ميمونة الجبينِ
وداعنا فليكن غدًا كما التقينا ... أسمعيني؟
في موكب الحب نلتقي وفيه نمضي مودعينِ

قوميات واجتماعيات

إلى المحسنين

ألقيت هذه القصيدة في الاحتفال السنوي الذي أقامته جماعة الإحسان بطنطا في سنة ١٩٣٠:

يا جيرة الإحسان والمحسنين	لبيكم! لبيكم! أجمعين
من يسمع الملهوف حق له	— لا ريب — أن يسمعه السامعون
من عين شمس جئتكم ناهلاً	من عين شمس لا تراها العيون
لا بل يراها كل قلب رأى	ظلم الرزايا، وظلام الشجون
يا حسنهما من نير مرشد	في حيرة اليأس بنور اليقين

حييت في محفلكم إخوة	بناتها في الخير صنو البنين
مريمكم أخت لعيساكم	وكلكم آمنة أو أمين
تعددت أديان قصادكم	وما لكم في برهم غير دين
كونوا لمن ليس له شافع	في هذه الدنيا ولا من معين
للطفل، من للطفل في ضعفه؟	للشيخ، من للشيخ حاني الجبين؟
هما رضيعا رحمة ثديها	لا يفطم الأبناء فطم السنين
لا خير في الدنيا ولا أمنها	إن لم يكن هذان في الأمنين
كلاهما عنوان ما عندنا	من نصرة للعيش أو للمنون

* * *

أقوى بني الإنسان في بأسه	من يرحم الضعف ويأسو الحزين
من يصرع الجبار دون الذي	يصرع جبار الشقاء المكين
ذاك العدو المستطير الأذى	في حاضر العهد وماضي القرون
هيا اصرعوه صرعة من يد	رقيقة المس و صدر حنون
فالمجد في تجفيف دمع جرى	لا في دم تجريه حرب زبون ^١

* * *

يا غارسي الإحسان في «طندتا»	ما خصبكم فيها بماء وطين
دوحتكم في أرضها أثمرت	ما تثمر الجنة للمتقين
ظل ظليل، وجني رحمة	ريان يؤتي أكله كل حين
أحسنتم بدءًا وأحسنتم	عودًا، وعقبى الصبر للمحسنين
وكان منكم كل خير لها	وحبذا من بعده ما يكون

إلى غاندي يوم إفطاره

غاندي لك النصر المبين على المدى	ولشائئك الخسر والخذلان
لم ألقَ قبلك من يحرر قومه	وهو السجين الجائع العريان
بالجوع والحرمان تصلح أمة	أخنى عليها الجوع والحرمان
خذ من قرارة دائهم لدوائهم	بعض السقام من السقام ضمان
ومن العجائب أن يُقدَّس بينهم	بقر السوام ويُلَعَن الإنسان
عكسوا الأمور فكان عكس أمورهم	بعض الجزاء، ومن أهان يُهان

^١ الحرب الزبون: الشديدة التي يدفع بعضها بعضًا من الكثرة.

فاشفع لنقص القوم عند كمالهم فكذاك تغفر ذنبها الأوطان^٢

عيد الاستقلال السوري

ألقيت هذه القصيدة في احتفال أقامه إخواننا السوريون لذكرى عيد الاستقلال في سنة ١٩٣٠:

ربع الشّام أعامر أم خال	اليوم عيدك عيد الاستقلال
إنني لأرجع بالسؤال أطيله	لو يملك الشهداء رجوع سؤالي
سكتوا وأقفرت المنازل منهم	إلا منازل من صوّى ^٣ ورمال
بُوركت من وطن يجل شهيده	في حيثما ألقى عصا الترحال
وطن تضيق الأرض عن أبنائه	وإليه موئلهم مع الآمال
يستبدلون الخافقين ببضعة	منه، وما قنعوا بالاستبدال
ذهبوا بأفئدة تفرق شملها	شيّعاً، وما فيهم فؤاد سال

يرتاد راحلهم وخلف ركابه	حلم يببت به مع الحلال
يصحو على «الشاغور» من لبنانه	وينام من «بردى» على السلسال
وتهزه من «عشروت» ^٤ خميلة	تلتف بين جداول ودوال
وتليه من وادي العرانش نسمة	سكرى الضحى رفاقة الأصال
أنى استقر وحيث سار هفا به	همس من الجيل الأشم العالي
أين السلو؟ ولا سلو لعابر	فيه، فكيف بمولد وفصال

^٢ الأوطان تكفر بحسناتها عن سيئاتها، وما دام للوطن حسنة فله أن يطمع في غفران سيئة. أما الوطن الذي لا غفران له فهو الوطن الذي لا تقرن فيه السيئات بحسنات تعدلها أو تربو عليها.

^٣ الصوى: القبور والحجارة التي تتخذ دليلاً على الطريق.

^٤ هي قرية شتورة الحديثة فيما يقال.

* * *

هذي مواطنكم وتلك قلوبكم	وُسَّجَتْ ° على الأهواء والأهوال
ما في المدامع من شعار كنيسة	يوم الحنين، ولا شعار هلال
فيمَ اختلاف مصفدين تضمهم	— قبل الوفاء — سلاسل الأغلال؟!
أمنازعون على السماء وأرضكم	نهب لكل منازع وموال؟!
كونوا — ولا نصح لجيل نبوة —	في العالمين هداية الأجيال
من بعلبك خذوا المثل لرأيكم	يوم الخلاف، وتلك خير مثال
فيها لموسى والمسيح وأحمد	أثر، وللوثن القديم البالي

* * *

أنتم بنو ماضٍ على أحزانه	نعم البشير لكم بالاستقبال
ماضٍ بأمثال التجارب حافل	ومن التجارب حكمة الأمثال
لا تلهينكم الهموم بحاضر	مر الحوادث فيه مر خيال
إن الحقائق في الحياة تجمعت	ما بين سابق سيرة أو تال
بيتوا على أمل وطيب تذكر	تجدوا الحوادث منكم بمنال ^٦
لا يستقل القوم في آمالهم	إلا استقلوا بعد في الأفعال

* * *

يا جيرة الوادي تحية أمة	وقفت تحيتها على الأبطال
لو بيّن الوادي القديم لقالها	كلمات صدق من لسان الحال
إننا بنو وطن تقرب بينه	سيناء في قدسية وجلال
الشمس تجمع في المطالع بيننا	والأرض في حرم الجوار الغالي
ومعالم التاريخ في كتب وفي	عقب، وفي نصب، وفي أطلال

^٥ اشتبكت.

^٦ الحاضر ملك لمن كان له أمل قوي في المستقبل وذكرى وثيقة للماضي.

ولسان صدق في اللغات تألفت	فيه القلوب تألف الأقوال
شكواكم شكواي، أو سلواكم	سلواي، أو أشغالكم أشغالي
ومطالب الغازين في بيدائكم	كمطالببي، ومآلكم كمآلي
فخذوا التآسي من مؤسي نفسه	فيما يطيف بكم من الأوجال
وخذوا التهاني من مهنئ نفسه	بغد يطالعكم بالاستقلال

على قبر سعد

خلا قبر سعد مثلما كان بيته	خلا منه حيناً ثم آواه رحبُهُ
أمرُّ به في كل يوم وربما	مررت به يوماً وفي القبر ربُّهُ

اكتفينا بما تقدم في هذا الباب، ولم ننشر فيه القصائد التي نُظمت في المناسبات المصرية رعاية لعهد الائتلاف.

فكاهة

كفاية!

إن تغض عيناك من تيه فلا عجب
أنت الذي تطلب العينان رؤيته
إنا هنا اثنان أمسينا، وفي نظري
عيناى ضاعفتا في حسنك النظرا
فأغض تيهًا كما أحببت أو خفرا
بلاغ إلفين! فاترك لي أنا السهرا

مفاخرة

أمسيت تفخر بالشباب وتزدهي!
فالآن أجزيك الفخار بمثله
عشرون عامك هذه ألقى بها
فافخر، وألقِ بها كما ألقيتها
وطفقت تنشر ريشه وتخايلُ
وأقول، والإنصاف ما أنا قائلُ
طوعًا، وعندي بعدُ عمر كاملُ
ماذا تكون؟ وأنت منها عاطلُ!

ناسخ النور

قد نقص النور ولم ينطفئ
فعوضوا الدار وزيدوا بها
وراقبوا «العداد» تحصوا به
لكن وجه الشؤم قد لاحا!
على ثريا النور مصباحا!
كم فاض من شؤم وكم ساحا

حديقة حيوان آدمية

هذه الحديقة لا تجمع إلا الفنان أو المحب للفنون، سُمِّي كل زميل من زملائها باسم حيوان يُلاحظ في اختياره اتفاق الشبه في الملامح والعادات. وقد جمعها الفن كما كان أورفيوس المعروف في أساطير اليونان يجمع الأحياء حين يغني ويعزف فتقبل عليه من كل فصيلة، وهي لا تشعر بخوف أو تهم بعدوان:

أورفيوس الفن سوَّى بينها	فتلاقى الدب فيها والقروء
وتغنى فرس البحر بها	يا له من فرس طلق النشيد!
ومشى الأرنب والحيوت لها	صاحبا القاعين من لج وبِيد
وتآخى الجدي والضبع وما	بين هذين سوى الثَّار اللدود
وجرى «السيسي» فيها شوطه	وهو ناهيك بسيسي عنيد
ولغا «البطريق» ^١ فيها لغوه	وهو من قطب جنوبي بعيد
وكأني بالزرافى ^٢ اجتمعت	وحمير الوحش منها في صعيد
وأوى السنور والجرو إلى	نمر فيها، على غير الوصيد ^٣
والسلحفاة تجاري عندها	أرنب البيداء والكلب الصيود
فتحت أقفاصها واختلطت	لا سدود، لا قيود، ولا حدود
حيوانات نماها آدم	وهي من أبنائها نسل فريد
حيوانات ولكن بينها	كل ذي لب سماوي رشيد
أورفيوس الفن سوى بينها	فاستوى المنشد فيها والمعيد

^١ هو الطير المعروف في اللغات الإفرنجية بالبنجوين.

^٢ جمع زرافة.

^٣ الوصيد: العتبة، وفي البيت إشارة إلى الآية: ﴿وَكَلَّبَهُمْ بِأَسْطُ نِزَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ﴾.

معنى طازج!

تنشقت من فيك عطر الثما
فلو قلت «أطعمتني» قبله
ر، أو نكهة العنب الناضج
لأنبأت عن صدقي «الطازج»!

الحب السريع

سألت: ما بالهم قد تركوا
قلت: هل دام غرام بينهم
غزل العشاق في الشعر الجديد؟
ريثما يُفرَغ من نظم القصيد؟
سنرى العهد الذي يروي لنا
كل عشرين غرامًا في نشيد!

زهرة القبح

من رأى زهرة الجمال فهذي
طلعة الشؤم من رآها يخلها
زهرة القبح أسفرت تتحدى!
خُلِقَتْ من وجوه سبعين قردا

رثاء كلب

حزنًا على كلبٍ طاهرٍ
تشابها في خليفة
وربما عيَّ طاهر
فليس يوفيه حقه
إلا إذا بات نابحًا
عوعو، عوووو. بلا ونى
فإنه طاهر الكلاب!
واتفقا — شيمة الصحاب
وكلبه حاضر الجواب
من اكتئاب أو انتحاب
نبج المساعير في الخراب
ولا انقطاع ولا اقتضاب

^٤ هو الأديب محمد طاهر الجبلأوي.

* * *

قد رحم الله واستجاب	لا تسألوا رحمة له
من «أزمة» الأكل والشراب	لعله مات قانطاً
وهكذا يفعل الشباب	منتحراً في شبابه
أنقذه القبر من عذاب	أراحه الله من ضنّى
من جاع فليرضّ بالتراب	فليحمد الله ربه!

كلب ضائع أو ديوجين الكلبى

وأنت يا صاح أنتا	أمست كلابك شتى
وأخر فر ميتا	كلب نجا وهو حي
وتارك لك بيتا	ما بين تارك دنيا
على الكلاب جنيتا	قل لي بربك ماذا
يا شيخ ماذا صنعتا	حتى «ديوجين»؟ ^٥ قل لي
لو صادف الخبز بحتا	والله ما كان يأبى
فصادف الأدم زيتا	أو جدت يوماً عليه
من قومه الغر بنتا	زعمته راح يهوى
من الصيام تأتى	لا تلزم الحب ذنباً
في أي صوب نظرتا	فاحمل رغيماً تجده
فلا تضع فيه وقتا	مصباحه ^٦ ليس يجدي
إلى ديوجين متا	أنعم به من حكيم
ومن رأى الحق أفتى	رأى السلامة حقاً

^٥ ديوجين الكلبى: فيلسوف يونانى. وقد سُمّي الكلب باسمه لأنه كان كبير الرأس، ولأنه يمت إلى الفيلسوف بصلة الكلبية.

^٦ كان ديوجين الفيلسوف يحمل مصباحاً في النهار يفتش به عن رجل فلا يجده.

حظ بصير

إذا كان حظ الناس أعمى فإن لي على الغيب حظًا لا يزال بصيرا
يظل يحاشي كل خير كأنه يحاذر فحًا، أو يرد مغيرا

متفرقات

إهداء الكتاب

نظمت هذه الأبيات في إهداء كتابي عن علي بن العباس المشهور بابن الرومي إلى جراح مصر الكبير علي إبراهيم باشا:

يا جاعل الطب فنًا	من الفنون جميلا
ويا أمينًا حفيظًا	على الحياة وكيلا
هذي حياة أديب	للفن كان رسولا
يا رب معنى نبيل	كساه لفظًا نبيلًا
كالروح تكسوه جسمًا	غض الإهاب صقيلا
علي هذا علي	يرجو لديك قبولا

المثاني في مشروع القرش

كن قطرة من سحب مثمر غدق	ولا تكن ذرة من رمل صحراء
ولا تقل هان «قرش» أنت باذله	ما مصر؟ ما النيل؟ لولا قطرة الماء

* * *

وحي الأربعين

أَيُّصُولُ بِالسَّيْفِ الْكَمِيِّ^١ وَنَحْنُ لَا نَدْرِي الصِّيَالِ بِمَغْزَلٍ وَبِمَنْسَجٍ
بِالْأَمْسِ كَانَ عَقِيمُهُمْ مِنْ لَمْ يَلِدْ وَأَرَى الْعَقِيمَ الْيَوْمَ مِنْ لَمْ «يَنْتَجِ»

* * *

الشَّبَابُ الْيَوْمَ يَسْتَأْدِبُكُمْ دَرَهْمًا فَرْدًا فَأَدُوهُ الْحَسَابُ
إِنْ مَصْرًا كُلُّهَا فِي غَدَا هِيَ مِيرَاثُ مَصُونٍ لِلشَّبَابِ

* * *

كُنْ صَانِعًا أَوْ لَا فَلَسْتُ بِصَانِعٍ شَيْئًا وَلَسْتُ بِدَافِعٍ مِنْ يَعْتَدِي
وَابْذُلْ زَهِيدَكَ لِلصَّنَاعَةِ تَجْتَمِعُ لِبْنِي بِلَادِكَ ثَرَوَةٌ لَمْ تَزْهَدْ

* * *

أَوَجَّهُ ذِي الْوَجْهَيْنِ فِي الْوُجُودِ قَرَشٌ عَدِيدٌ مِنْ أَبٍ وَحِيدٍ
قَوْتُهُ لِلْوَطَنِ الْمَعْمُودِ أَقْوَى مِنَ الْعِدَّةِ وَالْعَدِيدِ

* * *

أَرَى الْقَرَشَ أَصْبَحَ ذَا قِيَمَةٍ وَإِنْ صَغَرُوهُ وَإِنْ حَقَرُوهُ
يَتِيهِ بِوَجْهَيْنِ مِنْ حَسَنِهِ وَتَأْتِي مَنَافِعُهُ مِنْ وَجُوهِ

الشهرة العوراء

دَعِ الشَّهْرَةَ الْعُورَاءَ تَقْتَادِ غَافِلًا عَلَى حَكْمِهَا يَجْرِي، وَإِنْ طَاشَ أَوْ ظَلَمَ
إِذَا الدَّهْرُ لَمْ يَعْرِفْ لَذِي الْحَقِّ حَقَّهُ فَلِلدَّهْرِ مِنْهُ مَوَاطِئُ النَّعْلِ وَالْقَدَمِ
إِذَا جَازَ بَيْعَ الذَّكْرِ فِي شَرْعِ أُمَّةٍ فَلَا كَانَ مِنْ ذِكْرٍ وَلَا كَانَتْ الْأُمَمُ

^١ الكمي: لابس السلاح أو الشجاع.

عتاب وطن

جوزيت من وطن يبكي الوفي به وما بكى خائن فيه وإن جارا
لقد شقيت على كره وموجدة^٢ وهان ذلك لو لم تشق مختارا

نعي كاذب

لقد كذب الناعي وأنعم بكذبه فلا صدق الناعون يوماً، ولا هموا
فزعت الخطب الموت، والموت واحد فكيف احتمالي فيك موتين يا أم

إلى الصديق الراحل

نظمت في رثاء الكاتب الكبير «محمد السباعي» يوم وفاته:

غاية الحي ساعة من زمانه ينتهي عندها مدى جثمانه
طُوِيَتْ صفحة السباعي فينا وهو طاوي الطروس في تبيان
مسمح النفس في الحياة تولى مسمح النفس في الردى قبل أنه
لم يطامن لصرعة الموت رأساً من صراع الحياة لهو رهانه^٣
ذاقها صابراً وساغ مريراً من جني دهره ومن إنسانه
وتأسى، ومثله من تأسى، ضاحكاً من كرامه وهجانه
فتنته غواية الأدب الحر ر فأودى بقلبه في افتنانه

^٢ الموجدة: الغيظ والألم. والمعنى: إن الشقاء الذي يصيب الوطن كرهاً وقسراً قد يهون في جانب الشقاء الذي يجنيه الوطن على نفسه.

^٣ كان الفقيديلهو بالرياضة البدنية كثيراً، وكانت سيرته حافلة باحتمال الشدائد في سبيل حرية نفسه ومطالب عيشه.

وثنى راحتيه عن خفض عيش
ما أراه على الحياة حزينًا
يا سليم الفؤاد في باطن الرأ
مرض الدهر فامض عنه معافى
أنت خدن الكتاب، والموت سفر
كان حينًا أقصى منى أقرانه
بعض حزن الصباح يوم احتجانه
ي سليم الفؤاد في إعلانه
من أكاذيبه ومن أدراجه
صدقه ظاهر على عنوانه

على قبر حافظ يوم وفاته

أبكاء وحافظ في مكان؟
كنت أنسًا، فكيف أمسيت يا حا
كنت تتلو الرثاء معنى فمعنى،
كنت أعلى الجموع صوتًا فهلا
وعزيز على بلادك أن تذ
يوم أطلقت من إسارك حرًا
يوم أرسلتها على ظالمي الأو
ألهم الله مصر فيك عزاء
كلنا صائر كما صرت يومًا
تلك إحدى طوارق الحدثان
فظ تدمى لذكرك العينان
كيف أمسيت بعض تلك المعاني!
نطق الآن صوت ذاك البيان
هب يوم انبريت للميدان
وأبيت الإसार للأوطان
طان طعانة كحد السنان
لا بل العرب في شفيح «اللسان»
والذي قد صنعت ليس بفان

على ضريح سعد يوم الخروج من السجن

إلى الذاهب الباقي زهاب مجدد
إلى مرجع الأحرار في الشرق كله
وعند ثرى سعد مثاب ومسجد
إلى قبلة فيها الإمام موسد

٤ كانت وظيفة الحكومة أقصى ما يطمح إليه الشبان ولا سيما في الجيل الماضي. ولكن السباعي رحمه الله كان من أوائل الشبان الذين اجتروا على ترك الوظيفة لخدمة الأدب.
٥ احتجن الشيء: جذبته بالمحجن، أو ضمّه واحتواه.

نحيي من الدنيا التي نستعيدها مكاناً من الدنيا يخلو قفرها
مكاناً من الدنيا يخلو قفرها خرجت له أسعى وفي كل خطوة
خرجت له أسعى وفي كل خطوة لأول من فك الخطى من قيودها
لأول من فك الخطى من قيودها بواكير من حرية أستزيدها
بواكير من حرية أستزيدها وأعظم بها حرية زيدَ قَدْرُها
وأعظم بها حرية زيدَ قَدْرُها عرفت لها الحبين في النفس والحمى
عرفت لها الحبين في النفس والحمى وكنت جنين السجن تسعة أشهر
وكنت جنين السجن تسعة أشهر ففي كل يوم يُولد المرء ذو الحجى
ففي كل يوم يُولد المرء ذو الحجى وما أقعدت لي ظلمة السجن عزمة
وما أقعدت لي ظلمة السجن عزمة وما غيبطني ظلمة السجن عن سني
وما غيبطني ظلمة السجن عن سني عداتي وصحبي لا اختلاف عليهما

وحي الأربعين

سميت هذا الجزء «بوحى الأربعين»؛ لأن أكثره نُظم حوالى سن الأربعين، وقد كنت جمعت الأجزاء الأربعة الأولى من الديوان، ولاحظت في تسميتها أن يقابل كل جزء منها السن التي نُظم فيها، فبدأت فيها ببقظة الصباح وانتهيت بأشجان الليل، وفي تسمية هذا الجزء «بوحى الأربعين» متابعة للسنة التي جريت عليها حين جمعت تلك الأجزاء.

^٦ إشارة إلى عادة الأقدمين حين كانوا يضعون بواكير الثمار والحبوب في المعابد؛ تيمناً واستزادة من الخير والنماء.

^٧ نجم قريب من القطب يُهتدى به.